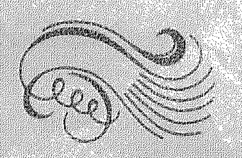


موقف النبي صلى الله عليه وسلم

من

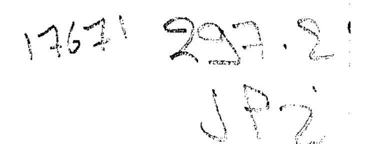
الديانات الثلاث

الوثنية
واليهودية
والنصرانية

فضيلة الشيخ حسن خالد
مفتي لبنان









من الديانات الثلاث :

الوثنية
واليهودية
والنصرانية

فضيلة الشيخ حسن خالد
مفتي لبنان



دار
الكتاب الإسلامي

موقف النبي ﷺ

من الديانات الثلاث :

الوثنية

واليهودية

والنصرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه:

محمد رسول الله آمنا به وشهدنا أن ما جاء به هو الحق من عند الله، وليس المطلوب أن يكون هذا ثابتاً في قلوبنا فحسب، بل أن نؤكده لمن أبت نفوسهم إلا الريب في ذلك ممن أوتوا نصيباً من الفكر الرشيد، والقلب الواعي، ممن يدينون بكتاب أو لم يكونوا كذلك.

الحق يفتقر إلى النصرة:

والحق رغم كونه حقاً، يظل مفتقراً إلى بيان ونصرة، لأن كثيراً من العقول تصيبها أحياناً غاشية من جهالة أو هوى، فيختلط عليها الأمر فيه حتى يجليه البيان، تماماً كما يكون حال البصر عندما يغشاه الظلام فتنطمس حقائق الأشياء أمامه ولا تنكشف إلا عندما يلامسها شعاع الضوء.

محمد الأمين:

لقد عاش محمد في قومه حتى الأربعين، فكان مثلاً للخلق الكريم والسلوك القويم، اشتهر فيهم بالصدق والأمانة فلقبوه

بالأمين. وعرف بالعفة والنزاهة وسمو الخصال فأحبوه. وشهد العدد الكثير الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب بأنه كان أمياً لا يتلو كتاباً ولا يخطه بيمينه. وقد ألفه الجميع وتسابقوا إلى التقرب منه والتودد إليه، حتى اختارته خديجة زوجاً، وهي من هي شرفاً وحسباً ومالاً ومكانة في الوقت الذي تقدم لها فيه العديد من زعماء القوم فرفضتهم.

تكذيب قومه له:

ولما بعث على رأس الأربعين، وصدع بأمر الله، فأنذر عشيرته الأقربين ودعا قومه إلى الله، انبرى له الأكثرون منهم فكذبوه، وآمن به الأقلون وأكثرهم من ضعفاء القوم. والذين كذبوه تمادوا بالتشهير به وبمن آمن به وتعذيبهم، ثم قاطعوهم فاضطروا إلى الهجرة بدينهم فراراً إلى الله..

دليل صدقه:

وليس المطلوب هنا سوق الأدلة والبراهين على صدقه ﷺ، ولكن مما لا شك فيه أن اتباع الضعفاء له كان ظاهرة صدقه في دعواه، وإن كان قومه يعتبرونها ظاهرة ضعف وفشل، ذلك لأن الضعفاء في القوم وإن كانوا يمثلون في

الغالب الجناح القاصر ويخضعون لوسائل الضغط المختلفة من أسيادهم وكبرائهم، ويفقدون من يتبعونه الكثير من عناصر الدعم، غير أنهم في الغالب يمثلون الصدق والإخلاص في الاتباع، مع التجرد عن الهوى خصوصاً عندما نجدهم يتجملون بالصبر على التعذيب والصمود على التهديد في وجه السلطة، إذ كيف يمكن أن يتحمل كل ذلك فقير وضعيف وهو أحوج ما يكون إلى رضا سيده وعونه إذا لم يكن قد انكشف له الحق وثبت ضياؤه؟.. يؤكد لنا ذلك ما حدثنا عنه التاريخ في وقائع التابعين للرسل والأنبياء على مر الدهور، مما جعل الحكماء يتعرفون بهم على صدق الرسول صاحب الدعوة. وما أمر هرقل ملك الروم عن هذا ببعيد، فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه، فقال أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه النبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال:

أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل ، فإن كذبني فكذبوه. فطرح على أبي سفيان اسئلة عديدة جاء فيها قوله: فأشراف الناس يتبعونه أو ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال أيزيدون أم ينقصون؟ قلت بل يزيدون. قال فهل يرتد أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا . قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا .... وبعد أن طرح عليه ما شاء قال له معلقاً على كل إجابة حتى قال: وسألتك اشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه. وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب[1]. وهكذا فان شهادة قومه له بالأمانة والصدق قبل ظهوره بالنبوة ، واتباع الضعفاء له قبل الكبراء ، وصبره واعتماده الحكمة والموعظة الحسنة ،وتتابع ازدياد المؤمنين وعدم ارتداد أحد منهم

---

(١) فتح الباري الجزء الأول صفحة ٣٢

وصبرهم على الأذى والحرمان المزمن الطويل، وبذلهم النفس قبل النفيس في سبيل الدعوة طمعاً في رضوان الله فحسب، والقرآن الكريم وما حواه من تشريع، وإخبار بالغيب مما كان في غابر الزمان وخفي على الأذهان وما يجد في مستقبل الأيام، وما لفت النظر إليه من الآيات في خلق الانسان وتكوينه وخلق السماوات والأرض وما بينهما، وإلى طبائع بعض عناصر الكون من التراب والماء والهواء وشكل الأرض وكونها سابحة في الفضاء، وما أوتيه ﷺ من جوامع الكلم والمعجزات الكثيرة التي تحدى بها قومه، وشهدت له بالصدق، أقول كل ذلك وهو الأمي، يؤكد بما لا مجال معه للشك أنه رسول الله وأن ما جاء به وحي من عند الله كما قال سبحانه: (والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وماغوى، وما ينطبق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى)[1].

موقفه ﷺ من الوثنية

صورة عن وثنية العرب:

كان العرب قبل الاسلام يغطون في جاهلية عمياء،

---

(١) النجم ١-٥

وكانوا رغم فصاحة منطقهم وبلاغة أدائهم أميين، لا يقرأون ولا يكتبون إلا من هدى الله قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[1]).

وكان من آثار هذه الجهالة، عادات وتقاليد يغلب فيها الانحراف عن الخلق الانساني السوي ومنطقه السديد، وعبادات وعقائد فيها كل الإسفاف والهوان، ولا تقوم سلوكاً ولا تهدي فكراً بل تحكم على من التزموا بها بدوام الارتكاس في الفساد والتردي في الباطل. يقول تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله[2]). ويقول: (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل،قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا[3]).

---

(١) الجمعة آية ٣

(٢) يونس آية ١٨

(٣) الفرقان ١٧- ١٨

الصنم والوثن:

وكان من مظاهر وثنيتهم أنهم كانوا يتخذون عبادات مختلفة. فمنهم من كان يعبد الصنم وهو ما كان على شكل انسان وقد صنع من معدن أو من خشب، أو يعبد الوثن وهو ما كان على شكل انسان منحوت من حجر، أو يعبد النصب وهو ما قد يكون من صخر ولم يعط صورة انسان أو غير انسان إلا أنه اعتبر مقدساً وأجرت عليه القبيلة طقوساً تعبدية لتصورها بأن له أصلاً سماوياً.

وقد بعث محمد ﷺ وبقايا الوثنية مترسبة في عقول العرب ونفوسهم ومترسخة في حياتهم الاجتماعية، يكتفون بوثن أو صنم يمثل لهم من المعاني والمعتقدات ما هو مبهم وعجيب، ويخلعون عليه ما يحلو لهم من صور القداسة والتعظيم، بل يرفضون أي شيء في هذا السبيل لا يتفق مع ما كان عليه آباؤهم ويهزؤون به وينعتونه بما يشاؤون مما يجعله أمراً غريباً أو ممقوتاً، يقول تعالى: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب، أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب[1]).

---

(١) - ص ٤- ٥

تعدد الأصنام والآلهة:

وقد كان للعرب أوثان وأصنام وآلهة كثيرة حتى إنه لم يكن في قريش رجل بمكة إلا وفي بيته صنم يعظمه ويعبده، ويصنعونه من كل شيء حتى من العجوة أحياناً ثم يأكلونه عند الجوع، فلما كان يوم الفتح قال الواقدي: نادى منادي رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يدعن في بيته صنماً إلا كسره. فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام. وقد روى جبير بن مطعم أنه كان يرى قبل هذه المناداة الأصنام يطاف بها في مكة فيشتريها أهل البدو فيخرجون بها إلى بيوتهم. وما من رجل من قريش إلا وفي بيته صنم إذا دخل يمسحه وإذا خرج يمسحه تبركاً به[1].

من أبرز آلهة العرب:

وكان من أبرز آلهة العرب وأصنامهم قبل الاسلام وبعده (هبل) وقد كان مقره الكعبة في مكة المكرمة، يحج إليه العرب من كل فج وصوب. وقد كان مصنوعاً من العقيق على صورة انسان، وقد كسرت ذراعه فأبدله بها القرشيون ذراعاً من ذهب. وقد جلبه عمرو بن لحي من

---

(١) - تاريخ مكة للارزقي الجزء الأول صفحة ١٢٥

هيت من أرض الجزيرة، فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ به قبل أهله وبعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده، وكانت له خزانة للقربان.

وكان قربانه مائة بعير، كما كان له حاجب. وهو الذي صاح باسمه أبو سفيان عقب يوم أحد فقال: (أعل هبل) ورد عليه عمر بن الخطاب بتوجيه من رسول الله ﷺ (الله أعلى وأجل)[1].

أصنام أخرى:

وكان لهم على الصفا (أساف) وعلى مروة (نائلة) ثم نقلهما قصي فجعل أحدهما بلصق الكعبة والآخر موضع زمزم. فكان الناس ينحرون عندهما، كما كان لهم (الخلعة) بأسفل مكة يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويذبحون لها، وكان لهم (مناة) على ساحل البحر مما يلي قديد تعظمها الأوس والخزرج وغسان من الأزد[2].

وقد ظلت (اللات) في الطائف حتى هدمها المغيرة بن شعبة بأمر الرسول ﷺ وأحرقها، وكانت (العزى) بواد من نخلة الشامية حتى قطعها خالد. وكذلك كانت لكفار قريش

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام عبد السلام هارون صفحة ١٨٧

(٢) تاريخ مكة للازرقي الجزء الأول صفحة ١٢٥

شجرة عظيمة خضراء يقال لها (ذات أنواط) في الطريق إلى حنين و(ذو الكفين) للدوسيين و(سواع) لهذيل وغير ذلك كثير[١].

وقد روي عن ابن عباس قوله: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً قد شدها ابليس بالرصاص، فطاف ﷺ على راحلته وهو يقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ويشير إليها فما منها صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه حتى وقعت كلها. وقال ابن اسحاق لما صلى النبي ﷺ الظهر يوم الفتح أمر بالأصنام التي حول الكعبة كلها فجمعت ثم حرقت بالنار وكسرت.[٢].

موقف الرسول من الأوثان:

كان رسول الله ﷺ منذ نشأته الاولى معروفاً بنبيل الصفات وجميل الشمائل، يخالط قومه ويعاشرهم ويأخذ معهم قسطه في الحياة العامة على اختلاف صورها، بيد أنه لم يكن يجاريهم في لهوهم وعبثهم وشرابهم وفسادهم، وقد شب بفضل

(١) تاريخ مكة للازرقي الجزء الأول ١٢٥ وما بعدها

(٢) نفس المصدر صفحة ١٢١

الله مطهراً من دنس الجاهلية[١] كما أنه لم يرو عنه أنه سجد لصنم قط لأن ذلك قد يغضب الله[٢].

ولما كان في تجارة لخديجة في الشام وقع بينه وبين رجل اختلاف في شيء، فقال له الرجل احلف باللات والعزى، فقال له الرسول: ما حلفت بهما قط، وإني لأمر فاعرض عنهما[٣] وقد قال العلامة القسطلاني: ((ولما ترعرع ﷺ كان يخرج إلى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم. ولما اكتمل شغف بالوحدة المشفوعة بالتحنث الفطري البعيد عن أية شائبة من شوائب الوثنية.))

وقد روى البخاري أنه ﷺ قال: ما هممت بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين، وروى أن إحدى المرتين كان في غنم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه: اكفني أمر الغنم حتى آتي مكة وكان فيها عرس فيها لهو وزمر، فلما دنا من الدار ليحضر ذلك القي عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله. وفي المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك فألقى عليه النوم كما القي في المرة الأولى[٤].

---

(١) سمط النجوم العوالي الجزء الاول صفحة ٢٧١

(٢) مختصر سيرة الرسول محمد بن عبد الوهاب ٤٤

(٣) طبقات ابن سعد ١٣٨

(٤) السهيلي الجزء الأول صفحة ١١٢

وقد روى ابن عباس قال: حدثتني أم أيمن قالت: كانت بوانة صنماً تحضره قريش، تعظمه تنسك له النسائك ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يوماً إلى الله وذلك يوماً في السنة، وكان أبو طالب يحضر مع قومه وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر العيد مع قومه فيأبى ذلك حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن إنّا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا، وجعلن يقلن ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً! قالت: فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوباً فزعاً فقالت له عماته: ما دهاك؟ قال: (إني لأخشى أن يكون بي لمم) «أي طرف جنون» فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت؟ قال: إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك (أي إرجع وراءك يا محمد لا تمسه). قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ[1].

---

(١) لطبقات الجزء الأول صفحة ١٣٩- ١٤٠

موقفه ﷺ منها بعد البعثة:

لقد حمل رسول الله ﷺ من أول يوم بعث فيه إلى الناس رسالة العلم والنور والحق المبين. وهذه الرسالة بما تحمله لا تلتقي مع عبادة الوثن والصنم وتقديس النصب وتعظيم العرافين والكهان في شيء، لأنها لا تلتقي مع الجهالة والهوى، ذلك أن الله تعالى يريد أن يحفظ للانسان حريته الفكرية وكرامته الشخصية، وهما لا يتحققان إلا بفك ارتباطه بأية عبودية تكون منه لإنسان أو لكائن من الكون اللهم الا لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد. ولذلك كان أول ما بدىء من الوحي في احدى الروايات قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) بدىء بهذه المفاهيم الجديدة، مفاهيم الإلّه الواحد المفرد، الخالق الأكرم، المعلم الذي يملك كل شيء ويفعل ما يريد.

ومفهوم حصر عبودية الانسان بالاله الواحد، هو نقض عقيدة العرب بما فيهم قريش بالأصنام والأوثان وما إليها من عقائد وأعراف ما انزل الله بها من سلطان.

ولذلك فإنه ﷺ في الوقت الذي كان فيه أحوج ما

يكون إلى النصرة والتأييد اتجه بوحي من الله وأمر منه إلى الأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام والى طرائقهم في الذبح لها وعندها فسفهها وعابها وأعلن بطلانها وفسادها. فذكر عبادة الاولين لها وما كان بينهم وبين الانبياء السابقين بسبب ذلك منبهاً إلى موقف الاسلام فقال تعالى: (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، قال أغير الله أبغيكم الهاً وهو فضلكم على العالمين)(١).

وروى أبو واقد الليثي: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها (ذات أنواط) يأتونها كل سنة، فيعلقون عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها، ويعكفون عندها يوماً. قال فرأينا يوماً ونحن نسير مع النبي شجرة عظيمة خضراء فسايرتنا من جانب الطريق فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا (ذات أنواط) كما لهم (ذات أنواط) فقال لهم

(١) الأعراف ١٣٨- ١٤٠

رسول الله: (الله اكبر، الله اكبر. قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال انكم قوم تجهلون، الآية، انها السنن سنن من كان قبلكم[١].

مشيراً بهذا إلى قوله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى ولو دخل احدهم جحر ضب لدخلتم[٢].

وقد أورد الوحي الكريم في الكتاب قوله تعالى على لسان ابراهيم: (وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين[٣]). وقوله في دعائه: (واجنبني وبنيّ أن نعبدالأصنام، رب انهن أضللن كثيراً من الناس)[٤].

بل ويتهكم على عبادتها ويصفها بانها عبادة مختلقة زوراً وبهتاناً على الحق، ويذكر بصفاء وجرأة بأنها لا تملك الضر ولا النفع لأحد ولا تملك حياة ولا موتاً ولا نشوراً مشيراً بذلك إلى أن المالك لذلك هو الله الذي يستحق وحده العبادة فيقول: (انما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون

---

(١) تاريخ مكة للازرقي الجزء الأول صفحة ١٣٠

(٢) التيسير شرح الجامع الصغير الجزء الثاني صفحة ٢٨٩

(٣) الإنعام ٧٤ (٤) ابراهيم ٣٥- ٣٦

افكا، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون[1]). ويقول (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا[2]).

ويتابع القرآن الكريم اعلان موقف الاسلام من آلهة القوم وعن طريق ذكر موقفه من آلهة من سبقوهم أحياناً فيقول على لسان نوح متهكماً وعائباً: (قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كبّاراً، وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا[3]). ويقول: (أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذا قسمة ضيزى، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى[4]). ولا يكتفي بأن يسفه احلامهم ويخطىء عبادتهم ويحكم بضلالها؛ بل ينذرهم بأسوأ المصير ويحكم عليهم وعلى آلهتهم بأن

---

(١) العنكبوت ١٧
(٢) الفرقان ٣
(٣) نوح ٢١- ٢٤
(٤) النجم ١٩- ٢٣

عاقبتهم جميعاً جهنم وبئس المهاد فيقول: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون[1]). ثم يجرد حملة صاعقة على الوثنية ومن انجرفوا في وحلتها وحمأتها حتى عميت قلوبهم وزاغت أبصارهم وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، فلم يكن منه معها مهاودة او ملاينة حتى لقي ربه، ولم يكن العذاب والتنكيل ولا الحبس والتهجير والحرب والتقتيل لتثنيه وتثني أصحابه عن مطاردة الوثنية انى كانت وكيف ظهرت.

الوثنية في نظر الاسلام:

كل ذلك لأن الوثنية- فضلاً عن كونها باطلاً وتزويراً على الحق- تدفع فكر الانسان بالتبعية لكل مجهول وغامض، وتدفعه لقبول الأوهام والرضى بالظنون، والخضوع لألاعيب المهرجين من السحرة والكهان والمنجمين وحيلهم،هؤلاء الذين طالما أضلوا الناس ولا يزالون، كما أنها تسوغ لعقل الانسان القناعة بالعبودية للعجز والضعف، سواء كانت متمثلة في الحجارة أو في النار كما كان حال المجوس، أو

(١) الانبياء ٩٨- ٩٩

في الشمس والنجوم كما كان شأن المصريين وغيرهم،أو في الشجر والحيوان كما كان حال العرب والمصريين، وكلها عند إنعام النظر ضعيفة إذا ما قورنت بما أوتيه الانسان نفسه وهيء له بفضل الله وتيسيره من قدرة وفاعلية.

إن تطاول الانسان في هذه العبودية الجامحة فيه حكم على نفسه بالجمود والذل والهوان والعجز مع الزمن عن حمل الأمانة حمّله الله إياها؛ ليكون في الأرض خليفة يعمرها ويستصلحها ويمشي في مناكبها ويسخرها بما فيها وعليها لصالحه ومعاشه.

أفليس الانسان العاقل المتحرك العالم المريد الفعال هو الذي يصنع الأصنام والأوثان وينحت من الجبال ما هو أضخم وأكبر؟ أوليس باستطاعته أن يتصرف فيما حوله تعديلاً وتحويلاً وتقديماً وتأخيراً، وأن يقرب بين المتضادات ويجانس بين المتنافرات ويسخر عناصر الكون فيفعل بها الغرائب والعجائب والمدهشات؟ ألم يذلل الصعاب ويجعل شبه المستحيل مطواعاً، ويشق الطريق في الشعاب ويذلل السير في أعالي الجبال وأغوار الوديان وأقاصي الدنيا، ويرفع الشاهق من البنيان، ويركب متن الهواء وموج

البحر، ويسخر أعماق الأرض وعوالي السماء في خدمته ولمنفعته؟

كيف كان يمكن أن يصل هذا الانسان إلى شيء من هذا لو ظل مسترخياً للعجز مستسلماً إلى الحجر الأصم والحيوان الأعجم أو المخلوق الضعيف يؤمن به ويدعوه رهباً ورغباً؟

لقد ضل العربي في الماضي كما ضل الانسان في كل مكان فاتبع هواه وخضع لمغريات مصالحه فغاص في جهالة طائشة ردحاً طويلاً من الزمن إلى أن جاء صوت الحق يجلجل في أذنيه ،يوقظه من غفلته، ويرده إلى صوابه وفطرته السليمة، وينبهه إلى فعل الهوى وخطره ويقول: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون[١]) ويقول: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا[٢]).

لا هوادة مع الوثنية:

لقد شن الرسول ﷺ على الوثنية حرباً لا هوادة فيها

(١) الجاثية ٢٣

(٢) الفرقان ٤٣- ٤٤

ووقف في وجه جبابرتها بعزم وحزم عزيزاً بدينه لا يخاف لومة لائم يقول تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم)[١]. ويقول: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله[٢]). وقد جاءه يوماً عتبه بن ربيعة ممثلا قومه فقال:(يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع حتى أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها.. إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالا، وإن كنت تريد تشريفاً سودناك علينا، فلا نقطع امراً دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ) فلما سكت تلا عليه ﷺ بعض ما أنزله الله من الكتاب فرجع مأخوذاً بجمال ما سمع وما رأى ومأخوذاً بعظمته ﷺ وسحر بيانه[٣].

ومشت قريش إلى أبي طالب عم النبي ومعها عمارة بن الوليد بن المغيرة وكان أنهد فتى في قريش وأجمله، وطلبوا

---

(١) التحريم ٩

(٢) المجادلة ٢٢

(٣) حياة محمد

إليه أن يتخذه ولداً ويسلمهم محمد فأبى، ثم ذهبوا إليه مرة ثانية وقالوا له: (إن لك سناً وشرفا ومنزلة فينا. وقد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك الله أحد الفريقين) ولما بعث أبو طالب إلى رسول الله يقص عليه رسالة قريش وأردف ذلك بقوله: فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق) قال رسول الله ﷺ: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته[1].).

بل إنه ﷺ. حارب كل ما يتصل بالوثنيين من قريب أو بعيد، وأصر على إفراد الله تعالى بالعبودية، وطالب كل مؤمن بأن يكون مخلصاً له كل الاخلاص والا شارك عمله وقوله شيء من الشرك، وكان عرضة لسخط الله، يقول الله تعالى معلماً الرسول الكريم: (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين، قل اني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصاً

(١) حياة محمد ١٦١- ١٦٢

له ديني[1]).

ويقول على لسان ابليس:(ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض، لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين)[2].

ويقول:(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجراً عظيما[3]) .ويقول: (قل امر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين)[4].

ويقول ﷺ: (تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (أي إذا أصابته شوكة فلا تخرج) إن اعطي رضي وإن منع سخط[5]) كما يقول: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)[6].

اسلوبه صلى الله عليه وسلم مع الوثنيين:

ولقد سلك ﷺ مع المشركين الوثنيين وغيرهم اوضح المسالك وأيسرها ليردهم إلى الحق ويصرفهم عما هم فيه من

---

(١) الزمر ١١ و١٤

(٢) الحجر ٣٩- ٤٠

(٣) النساء ١٤٥- ١٤٦

(٤) الإعراف ٢٩

(٥) البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة

(٦) رواه أبو داود بسنده

جهالة وضلال. فحاورهم بالتي هي أحسن، وضرب لهم الأمثال، ولفت انظارهم إلى ما في السماوات من الأفلاك والشمس والقمر والنجوم وإلى الأرض وما عليها من الجبال والبحار والأنهار والشجر والنبات من كل صنف ولون وشكل، وإلى الحيوان وغيرها من الكائنات وما تنطوي عليه من آيات ثم كيف خلقت ثم طورت حتى اكتملت، كل ذلك ليحفز عقولهم إلى تقبل الحقائق ومجافاة الأباطيل.. خصوصاً وأن الاسلام قد جاء ليرسي دعائم المفاهيم الصالحة ويعمق فضل القيم الانسانية في نفوس الأفراد والجماعات، فهو لا يسعه إذن ان ينقص من قيمة العقل ولا أن يقبل كل ما يؤدي إلى ذلك سواء كان وثنية أوسواها، ولذلك فهو في الكتاب كما في نصوص الحديث يلح على التذكير بأن الله قد خلق للانسان عقله وربط به بداية التكليف والمسئولية أمام الله والمجتمع فيقول تعالى: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم اموالهم)(١). كما يكثر من الالفات إلى الآيات والمعالم التي تعرف الانسان على الحق وتدنيه منه فيقول: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم

---

(١) النساء ٦

قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور[1]). ويقول: (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[2].

ويقول أيضاً: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون[3].

ذلك أن هذا العقل الذي أوتيه الانسان هو مدار كرامته وفضله وامتيازه على اترابه من المخلوقات، وتسلطه عليهم بحيث استحق أن يجعله الله خليفة في الأرض، يحرم أن يهمل وتهدر فاعليته، كما يحرم أن يخدر بالأوهام والأساطير والرؤى الباطلة والايحاءات النفسية أو ما شابهها أو بالمشروبات المخمرة أو الحشائش السامة التي تفسد رؤيته

(١) الحج ٤٦
(٢) البقرة ١٦٤
(٣) الرعد ٣- ٤

وتخل توازنه وتضيع طاقته..

إن عبادة الأصنام والأوثان واتخاذ الآلهة من البشر والشجر والحجر والحيوان والنجوم وغيرها فضلاً عن كونها باطلة، هي في حد ذاتها مستندة إلى تلك الوسائل مستندة إلى زرع الأوهام والخرافات في نفوس الناشئة والتسلط عليها عن طريق الايحاءات النفسية الظالمة... لذلك كان موقف الاسلام منها موقف الحرب التي لا هوادة فيها ولا ملاينة.

موقف الاسلام من السحر والتنجيم:

ومن هنا كان موقف الاسلام من السحر والتنجيم والعياذة بالجن والعرافة وما يتصل بها موقفاً مستمداً من موقفه من عبادة الأصنام والأوثان وغيرها، موقف التحريم والرفض القاطع. يقول تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت[1]). والطاغوت كما ثبت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود او متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله[2]،فالشيطان طاغوت،والذي يحكم بغير ما انزل الله طاغوت، والذي

(١) النحل ٣٦

(٢) مجموعة القوانين لابن تيمية صفحة ٨

يدعي علم الغيب من دون الله طاغوت، وكل من عبد من دون الله وهو راض بذلك طاغوت.

واللجوء إلى العائذين بالجن لاستطلاع آرائهم بالمغيبات وغيرها حال الاعتقاد بأنهم يعملون ذلك لجوء إلى الطاغوت واحتكام إليه، وكذلك الاعتماد على السحرة والاستعانة بهم للافساد بين الناس واستغلال المغفلين منهم والعبث في الأرض يقول تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا[١]).

وقد ثبت أن هؤلاء يكون لهم القرين من الشيطان يخبرهم عن المغيبات بما يسترقه من السمع فيخلطون الصدق بالكذب والحق بالباطل كما في الحديث الصحيح، فقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال: (إن الملائكة تنزل في العنان- السحاب- فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم) ويروي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار،

٦٠

فقال النبي ﷺ: (ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟) قالوا: كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم، قال رسول الله ﷺ: (لا فإنه لا يرمى بها لموت أحد أو لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء، ثم يسأل اهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون).

وقد ثبت أن الأسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيبة، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه حتى اعانتهم عليه امرأته لما تبين لها كفره فقتلوه، وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الامور. وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من

القيد وتمنع السلاح أن ينفذ فيه؛ وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول هي الملائكة وانما كانوا جناً، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ به فقال عبد الملك انك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله.[١].

موقفه من الالاعيب الشيطانية:

وكذلك كان موقفه من الألاعيب الشيطانية التي يموه بها على الناس ويسيطر بها على عقولهم، موقف التحريم والنبذ الشديد لأنها تفسد نظر الانسان وتضعف طاقته الفكرية وتنقص جهده الحياتي وتؤذي بصورة خاصة الأفراد وبصورة عامة المجتمعات.

موقفه من الخمور والمخدرات عامة:

ولعلنا هنا ندرك لماذا كان تحريم الاسلام للخمور والمخدرات من الحشائش والمشمومات وما يتعاطى عن طريق البلع أو الابر يقول تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون،

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان من مجموعة التوحيد صفحة ٤٥٨- ٤٥٩

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)[١].

موقفه من الشفاعة:

ونحن نعلم ان العرب الوثنيين كانوا يعرفون أن خالقهم وخالق الأرض والسماء هو الله، يقول تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)[٢]. ويقول: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)[٣]. وإن عبادتهم للأوثان والأصنام كانت لاعتقادهم بأنها شفعاؤهم عند الله تقربهم إليه وتزلف منزلتهم منه يقول تعالى: (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى[٤]). وهو ما رد عليه القرآن في أكثر من موضع من سوره فيقول: (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون؟ قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون[٥].

وامتددا بهذا الموقف فقد كان موقف الاسلام في رأي

---

(١) المائدة ٩٠- ٩١
(٢) الزخرف ٨٧
(٣) الزمر ٣٨
(٤) الزمر ٣
(٥) الزمر ٤٣- ٤٤

البعض تحريم الشفاعة ورفضها قياساً على تحريم ورفض شفاعة الوثنيين بآلهتهم، وهرباً من السقوط مرة أخرى في حبائل الوثنية التي انقذ الله المؤمنين منها يقول تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون[1]. فاعتبروا الشفاعة اشراكاً بالله، والشرك بالله خروج عن الملة وانزلاق تام إلى غضب الله وسخطه.

ولهذا فقد كان الاستشفاع بأية ذات مهما علا مقامها حتى ولو كان رسول الله هو في رأي هؤلاء مناف للإخلاص الذي أمر الله به نبينا والمؤمنين عندما يقول: (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص[2]) ويقول: (فادعوا الله مخلصين له الدين)[3]. ويقول: (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء)[4] وقالوا: من اثبت وجود الوسيط بين الله وبين خلقه فقد حكم على نفسه بالدخول في الشرك لأن هذا عمل المشركين الذين كانوا يقولون عن أوثانهم وأصنامهم انها تماثيل الانبياء الصالحين وأنها تقربهم

(١) يونس ١٨
(٢) الزمر ٢- ٣
(٣) غافر ١٤
(٤) الرعد ١٤

إلى الله ، وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى حيث يقول: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[١].

ولقد روى الاعمش وسفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن ابي البختري قال: سئل حذيفة عن قول الله عز وجل: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) هل عبدوهم؟ فقال لا ، ولكن احلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه. وروى الترمذي عند عدي ابن حاتم قال: اتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: (ما هذا يا عدي اطرح عنك هذا الوثن) وسمعته يقرأ في سورة براءة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ثم قال:(اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا احلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه) وقد نقل القرطبي في ذلك عن أهل المعاني فقال: جعلوا احبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث اطاعوهم في كل شيء[٢] وجاء معاذ بن جبل مرة إلى رسول الله ﷺ فسجد

(١) التوبة ٣١

(٢) القرطبي الجزء الثاني صفحة ١٢٠

له فقال ﷺ :(ما هذا يا معاذ؟ فقال يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم ،فقال: (يا معاذ لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمراً احداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها[1].

وقد حسم الله تعالى الكلام في مراد الاشراك به في مواضع متعددة من الكتاب الكريم، ومن ذلك قوله: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله)[2] وجاء قول الرسول ﷺ مؤكدا ذلك في قوله عندما قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال: (أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده) وقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما انا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)وقال:(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد).

موقف الاسلام من القبور:

ويتابع الاسلام اخذ مواقفه من الوثنية ليزيد في تصفية عقائد المسلم من شوائبها ويصونها من لوثات الشرك فنهى المؤمنين عن زيارة القبور في مطلع الدعوة، وذلك لما كان يقع فيها من التفاخر والمباهاة ولما يجري فيها من التسنيم

---

(١) سنن ابن ماجة وكتاب النكاح

(٢) النمل ٦٢

بالحجارة والرخام وبنيان النواويس عليها. وقد نقل ابن بطال عن الشعبي قوله: لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابني. وكذلك روي عن النخعي قوله: كانوا يكرهون زيارة القبور وعلى هذا طائفة من السلف خصوصاً وأن البخاري لم يرو أحاديث النسخ عن زيارة القبور[1]، بينما ذهبت طائفة اخرى إلى القول بالإباحة. ومنهم مالك الذي روي عنه أنه قال: (كان رسول الله ﷺ نهى عنها ثم أذن، فلو فعل ذلك انسان ولم يقل إلا خيراً لم أرَ بذلك بأساً خصوصاً وأنها تذكر بالآخرة، وتحمل على الحسبان ليوم المصير. فقد روي عنه ﷺ انه زار قبر امه فبكى وأبكى من حوله وقال: (استأذنت ربي في أن ازور قبرها فأذن لي، واستأذنته في ان استغفر لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة[2].

وقد ثبت انه ﷺ نهى عن زيارة القبور أولاً وذلك باتفاق العلماء وعلق على ذلك أفاضلهم بقولهم لأن ذلك يفضي إلى الشرك. ولكن نقل عنه ايضا أنه ﷺ قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا).

---

(١) الجواب الباهر في زوار المقابر لابن تيمية ٤٣- ٤٤

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنائز

وعلى كل حال فإن نهي رسول الله ﷺ عن زيارة القبور المتفق عليه يفيد القطع بموقف الاسلام العظيم من الوثنية وحرصه على مجافاة الناس عن ممارسة أي شيء يعود بهم إليها، فزيارة القبور تصل ضعاف العقول وسخفاء الفكر من الناس بمن يحبون روحياً وتسوغ لهم القيام بتصرفات والنطق باقوال تنجرف بهم أحياناً إلى مزالق الشرك...

بل إننا لنرى في هذا العصر عصر العلم والتقدم التكنولوجي والحضاري الباهر، وتفتح الأذهان المدهش من التصرفات الشاذة عن الاسلام عند هذه القبور كما نسمع الكثير مما لا يتفق مع نقاء الايمان واخلاص القلب لله من اولئك الذين يزورونها ويترددون عليها؛ مما يؤكد ضرورة الوعي والحذر الدائم من السقوط فيما نهى الاسلام عنه مما لا يتفق واليقين الثابت بالله.

اتخاذ قبور الانبياء مساجد:

ويدلف بنا الحديث عن القبور عامة وموقف الاسلام منها إلى الحديث عن قبور الانبياء وبناء المساجد عليها. فقد اتفق العلماء على النهي عن ذلك قطعاً لأنه يؤدي بطريقة لا شعورية إلى عبادتهم وهو عين الشرك بالله.

وفي صحيح مسلم انه ﷺ قال قبل ان يموت بخمس: (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك)[١] وروي عن ابن عباس وغيره من السلف قولهم عن سبب عبادة الاوثان مثل (يغوث وسواع ويعوق ونسر)، إن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح،فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم. ولذلك شدد رسول الله ﷺ في تحذير امته من ان يقعوا فيما وقع فيه من سبقهم من الذين اشركوا وأهل الكتاب،ونهاها عن اتخاذ القبور مساجد وعن الصلاة اليها[٢]. بل وزاد في ذلك فأخبر بأن الله تعالى قد لعن اليهود والنصارى لانهم اتخذوا من قبور انبيائهم مساجد.

النهي عن بنيان القبور وتجصيصها:

ومن أجل هذا المعنى الجليل نهى الاسلام المؤمنين عن مشابهة أهل الكتاب بتعظيم القبور ورفع بنيانها وتجصيصها والبناء عليها وإحاطتها بكل ما يوحي بالتعظيم، لئلا يتسرب شيء من هذا المعنى إلى قلوب الفاعلين فيضلوا ويضلوا عن سواء السبيل...

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة (٢) الجواب الباهر

النهي عن صناعة التماثيل واقتنائها:

وارتكازاً إلى هذا المفهوم، وانسجاماً مع صفاء الإيمان ونقائه واخلاصه حرم الاسلام صناعة التماثيل او نحتها من الحجارة سواء كانت للعبادة او للزينة وغير ذلك، لأن فيها مضاهاة لصنع الله، وتدخل على صانعها وناظرها من العجب ما قد يسبب احياناً انحرافاً إلى الوثنية قولاً وعملاً. فقد روت عائشة عنه ﷺ قالت: (قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي (أي كوة) بحرام فيه تماثيل، فلما رآه تلون وجهه وقال: يا عائشة اشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله[1]). فحرم صناعة الأصنام ونحتها وبيعها واقتناءها وعرضها في البيوت والأسواق والنوادي صيانة للعقيدة وحفظاً لها...

النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس ووقت غروبها.

وحرصاً منه على هذا المعنى ولما كان بعض المنحرفين من البشر قد ضلوا عن الحق فسجدوا للنار وسجدوا للشمس كما نقل المؤرخون وكما نقل القرآن الكريم في وصفه لقوم بلقيس ملكة سبأ في سورة النمل: (وجدتها وقومها

(١) منهل الواردين شرح رياض الصالحين الجزء الثاني صفحة ٩١٦

يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون[١]). فقد نهى ايضاً المؤمنين عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها.

وقد نقل أن الشيطان يقارن الشمس عند الشروق وعند الغروب حيث روى مسلم في صحيحه: (لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرني الشيطان) وقد قال ابن تيمية: (والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل اهل دعوة الكواكب فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه بعض الامور. ويسمون ذلك روحانية الكواكب وهو شيطان. والشيطان وإن أعان الانسان على بعض مقاصده، فانه يضره أضعاف ما ينفعه وعاقبة من أطاعه إلى شر إلا أن يتوب الله عليه)[٢].

تحريم ذبائح المشركين:

ورغم أن الاسلام ليس دين عنصرية ولا عصبية وإن منهجه في الدعوة هو مخاطبة الناس على قدر عقولهم ومفاهيمهم، والتلطف معهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة

---

(١) النمل ٢٤

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صفحة ٤٦٤ من مجموعة التوحيد.

ومجادلتهم بالتي هي أحسن، وانه يوجه خطابه الى الناس كافة مشركهم وكافرهم. حتى قال الكثيرون من العلماء بأن ما ورد في القرآن الكريم من الخطاب يا أيها الناس فهو موجه إلى المشركين والكفار مع المؤمنين فيسر بذلك للمشرك سماع الحق ومشارفة النور وبخاصة في قوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون[1]). اقول رغم هذا كله فإن الاسلام العظيم فصل بين المسلم والمشرك والوثني في بعض التعامل فحرم عليه ذبائحهم لأنها لم تتبارك بذكر اسم الله عليها عند ذبحها اولا وقبل كل شيء ولمخالفتهم أحياناً بطريقة الذبح..

وتحريم مناكحتهم:

وحرم عليه مناكحتهم قطعاً فلا يستبيح الزواج منهم ولا يصح تزويجهم مهما كان حالهم وأياً كانت مكانتهم الاجتماعية والسياسية والمالية والحضارية، لأن العبرة الأساسية هي بالعقيدة التي ينطوي عليها قلب الانسان وهي في الحقيقة أساس سلامة الأسرة وسعادتها وبالتالي سلامة

---

(١) التوبة ٦

المجتمع وأمنه وطمأنينته يقول تعالى: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولوأعجبكم، أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون[1]).

أوصى بالحيطة والحذر والتعامل معهم:

ولكنه سمح بمواصلة ومعاملة من لم يقاتلوا المؤمنين منهم مع الحذر منهم واليقظة بدليل انه ﷺ سمح لأسماء بنت أبي بكر بقبول هدية والدتها المشركة عندما قدمت على المدينة في الفترة التي كان فيها مهادنة بين رسول الله وكفار قريش كما في البخاري ومسلم، كما فهم ذلك أكثر أهل التأويل لدى دراسة آية الممتحنة وهي قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين[2]). فقالوا انها محكمة.

ومع ذلك فقد انزل منزلتهم الاجتماعية وجعلها سواء مع منزلة الزاني والزانية في النكاح كما هو ظاهر قوله تعالى: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها

(١) البقرة ٢٢١

(٢) الممتحنة ٨

إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين[1].

وهو بالاجمال يسمح بالتعامل معهم في حدود محدودة ولكنه يوصي أتباعه دوماً بالحذر منهم وينهاهم عن الأمان لهم لأنهم منافقون في خصالهم وأخلاقهم لا يشدهم مبدأ ولا يثنيهم يقين تتخاطفهم الأهواء وتتنازعهم المصالح، كما يتضح بعد الركون الى عهودهم ومواثيقهم وإيمانهم يقول الله تعالى:

(كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام...) إلى أن يقول (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون[2]). ويقول: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون[3]). ولذلك كانت شدته مع البعض منهم وقسوته في معاملتهم وضغطه على المؤمنين لمجافاتهم وعدم التعاون معهم أو موالاتهم وموادتهم حتى ولو كانوا آباءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم يقول تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان

---

(١) النور ٣

(٢) التوبة ٧- ٨

(٣) التوبة ١٢

استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون[1]). ويقول: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم)[2].

حرم عليهم الاستغفار لهم بعد الموت:

بل انه قطع علاقة أتباعه بهم بعد موتهم ومنعهم من الاستغفار لهم أو طلب الرحمة أياً كانت صلتهم بهم لأنهم قد ماتوا وهو محادون الله ورسوله: يقول تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده؛الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء[3]. ولئن كان الله تعالى قد اذن للرسول صلى الله عليه وسلم بزيارة قبر أمه، بيد انه لم يُأذن له بالاستغفار لها: فقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وأبكى من حوله فقال: (استأذنت ربي ان استغفر لها فلم يُأذن لي

---

(١) التوبة ٢٣
(٢) المجادلة ٢٢
(٣) الممتحنة ٤

واستأذنته في ان ازورها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر بالموت)

وأوصى بجهادهم بقسوة عند القتال:

اما في القتال فقد امر بأخذ اشد المواقف واعنفها يقول تعالى: (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم[١]). بل منع أخذ الجزية منهم، وان كان سمح بالاسر والمفاداة على رأي الضحاك والسدي وعطاء وابن زيد[٢]، وجعلهم امام احد الخيارين لا ثالث لهما اما الاسلام واقامة اركانه، او القتال. ويقول تعالى مخاطبا رسوله: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)[٣] فهم ينتظرهم فوق هذه الشدة في المعاملة في الدنيا اشد العذاب واقبح المصير.

المشركون نجس:

بل ان اشراكهم بالله قد غمسهم بأقبح حال وأسوئه اذ

---

(١) التوبة ٥
(٢) القرطبي الجزء الثامن صفحة ٣
(٣) التحريم ٩

جعل فكرهم موبوءا وقلوبهم قذرة وكيانهم نجسا، ولذلك فان الله تعالى يحرم عليهم دخول المسجد الحرام فقال: (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)[١]. فذهب اجلة العلماء الى تحريم دخول المسجد الحرام على المشرك والكافر مطلقا، وقاسوا عليه دخول المساجد عامة - وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى عماله[٢] وفي صحيح مسلم (ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول والقذر) والكافر لا يخلو عن ذلك وخالف الشافعي في ذلك فأجاز لليهودي والنصراني بدخول المساجد غير المسجد الحرام[٣].

تحريم الكبر:

ولقد كان ثمرات موقف الاسلام الصارم من الوثنية موقفه من الكبر لدى النفس حتى ولو كان مقدار مثقال ذرة ففي الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار ولا ابالي)[٤]. كما

---

(١) التوبة ٢٨

(٢) القرطبي الجزء الثامن صفحة ١٠٤

(٣) القرطبي الجزء الثامن صفحة ١٠٤- ١٠٥

(٤) كشف الخفاء الجزء الثاني ١٠٦

ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: (لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة من كبر) وقال عن مشية المتكبرين: (ان هذه مشية يكرهها الله الا في مثل هذا الموقف) اي موقف قتال الكافرين. ذلك الكبر ظاهرة العجب النفسي وفي العجب غفلة عن الله وجلاله وانشغال بالنفس وصغارها، مما يبعد عن الحق المبين، ويدلف بالذات من حيث لا تشعر الى التسلل في مسارب خطيرة من الشرك مع الله بشكل خفي وصامت.



خاتمة:

لقد نشبت الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم والوثنية من اول يوم بعث فيه حيث اعلن انه رسول رب العالمين ،وقد تطورت هذه الحرب مع الزمن من عجبهم اول الأمر ان يجيئهم منذر منهم ، الى تصديهم له بالتكذيب وقذفه بالسحر والجنون والشعر ثانية واتهامه بانه يعلمه بشر ثالثة ،الى تحديهم له بمطالبته بالمعجزات الخوارق كأن يريهم الله ، أو ينزل عليهم الملائكة او يفجر لهم من الأرض ينبوعاً او يرقى في السماء الخ.. او غير ذلك ، ورد رب العالمين ذلك كله تنجيما وحسبما يقتضيه الظرف فقال عن الاول: (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[1] وقال في الثاني: (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور)[2] وقال: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[3]وقال في الثالث: (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا

(١) الجمعة ٢

(٢) الشورى ٢٤

(٣) النساء ٨٢

واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر[١])). وقال: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون[٢])). وأخبر عن الشعراء: (أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا)[٣]. وقال في الاتهام القائل بانه يعلمه بشر: (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين[٤])). وقال في التحديات:

(قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا[٥])). وقال: (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون[٦])). الى أن حصل تطاولهم عليه وعلى أصحابه بوسائل الإيذاء المتنوعة فكانت الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة، ثم كانت الهجرة إلى المدينة وتهيأت الفرصة لانشاء الوجود الاسلامي وتجميعه حتى تكونت منه نواة الدويلة، فانتقلت هذه الحرب الى طور جديد اخذت مداها فيه سياسياً، وكان صلى الله عليه وسلم يجنح دائما الى المحاورة الفكرية ويلتمس وسائل الاقناع كما كان يستلهم الله الصبر على اذاهم حتى طفح الكيل ويئس

(١) القمر ٢ و٣
(٢) القلم ٢- ٣
(٣) الشعراء ٢٢٥- ٢٢٧
(٤) النحل ١٠٣
(٥) ٥٩.
(٦) الإسراء ٩٣

من مداومة اللين والتحمل ، فاذن الله له بالقتال لرد الظلم عنه ودفع العدوان وحفظ الكيان والكرامة ،فكانت معارك قاسية استأصل فيها النبي بفضل الله شأفة الشرك من الجزيرة وأرسى دعائم الاسلام ونشر نوره المبين في ارجائها كافة. ولم يكد يستقر الأمر بالاسلام في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى كان قد تمكن من تحقيق وصية النبي صلى الله عليه وسلم وجعل الجزيرة حصنا حصينا للاسلام والمسلمين واخرج منها من كان لا يزال فيها من اليهود والنصارى. وطهر ارضها نهائيا من مظاهر الشرك والوثنية ،وصيرها مثابة للناس ، يلوذون بها من كل مكان ليجدوا فيها سكينة القلب وطمأنينة النفس وارتياح الفكر.

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود

اليهودية في مكة:

مما لا ريب فيه انه لم يكن في مكة قبل الاسلام يهود ذوو شأن[1] ولذلك فليس ثمة ما يستدعي التطرق الى الحديث عنهم في هذه المرحلة من عمر الإسلام، اللهم الا ما روته بعض كتب السيرة من تنبيه بعض الكهنة والرهبان لذوي النبي صلى الله عليه وسلم الى ضرورة السهر عليه وحمايته من كيد اليهود[2] او ما روي ايضا مما سنرى من ان بعض يهود المدينة كانوا يتآمرون عليه بعد بعثته مع قريش ويساعدونهم لتفشيل دعوته والقضاء عليه

اليهود في المدينة:

ولكن لا مجال لتجاهل مكانة اليهود في المدينة ثم موقفهم منه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وموقفه منهم حتى لقي ربه .

نبذة عن تاريخهم في الجزيرة:

ومن الثابت ان اليهود قد هاجروا تباعا من الشام الى

---

(١) المفصل في تاريخ العرب جواد علي الجزء السادس ٥٤٣

(٢) ابن هشام الجزء الاول صفحة ١١٩

جزيرة العرب فرارا من ظلم الرومان والبيزنطيين[1] وانهم اختاروا الجزيرة العربية لهجرتهم بعد ان تحققوا من انه سيبعث فيها نبي، وان فيها ارضا ستكون موضع مهاجره، وانهم بعد بحث طويل عرفوها بأوصافها وهي يثرب، فكان اكثر تجمعهم فيها وحولها وهو ما ذكره السمهودي في كتابه خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى. وقد استقرت منهم في يثرب هذه ثلاث اسر كبيرة هي: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، ومنهم تبع الحميري الذي حمل جماعة منهم الى جنوب الجزيرة فنشروا اليهودية في اليمن وما جاورها. وبذلك كانت لليهود مستوطنات قديمة في شمال الجزيرة، في يثرب وخيبر وتبوك وتيماء ووادي القرى وفي جنوبها في اليمن وما جاورها[2]

نهجهم في الجزيرة:

لقد استمر هؤلاء اليهود محافظين على جنسيتهم اليهودية، ولم يندمجوا في المجتمع العربي اندماجا كليا لاحساسهم المقيم بغربتهم من ناحية ولعصبيتهم العرقية من ناحية ثانية.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب الجزء السادس

(٢) المفصل في تاريخ العرب الجزء السادس صفحة ٥١٨ وما بعدها

عقيدتهم :

واليهودية بمفهومها الحاضر غير اليهودية التي شرعها الله على لسان موسى وسجلها لهم في التوراة، ذلك أن التوراة الحقيقية التي تحمل الدين الصحيح النقي، قد تغيرت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم واستبدل بها اليهود مواثيق اخرى جمعوا فيها من التعاليم ما جعلوه شريعة لهم وزعموا انها من عند الله وانها لا تعادلها توراة موسى في التقديس.

ترقبهم ظهور نبي :

ولا ريب أن الله تعالى قد ارسل الى اليهود رسلا كثيرين من جنسهم لتذكيرهم بالحق والعودة بهم الى الصراط المستقيم. وكان قد اخذ عليهم الميثاق بأن يستقيموا كما قال تعالى: (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا، وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضاحسناً؛ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل[1])

ولقد كان من ركائز هذا الميثاق الايمان بمحمد عليه

(١) المائدة ١٢

السلام ، وكانوا يعرفون مبعثه وينتظرونه ، وقد روت كتب السيرة انهم كانوا من قبل ظهوره يستفتحون على الذين كفروا ويقولون بأنه سيظهر بالجزيرة نبي وانهم سيكونون من أتباعه ، وسينتصرون به على منافسيهم من الأوس والخزرج. ولكنهم عند ظهوره نقضوا الميثاق وكفروا بمحمد ، وقد قال ابن عباس: (كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء وقالوا: انا نسألك بحق النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا عليهم. قال فكانوا اذا التقوا بهذا الدعاء هزموا غطفان ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به)[١].

فأنزل الله تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[٢].

التلمود عند اليهود:

ولليهود كتاب آخر غير التوارة هو التلمود واليهود مختلفون فيه وفي الحكم عليه ما بين مادح وقادح. وهو عبارة عن مجموعة الشرائع المدنية والاجتماعية واليهودية المتوارثة ،

---

(١) القرطبي جزء ٢ صفحة ٢٧

(٢) البقرة ٨٩

وكلها من اضافة الآباء الاولين. وقد جمع ما بين عام ٤٠٠م و ٥٠٠م.

وفي هذا التلمود حديث طويل عن عيسى عليه السلام وطعن فيه وحط من شأنه، كما فيه كلام مفصل عن كيفية معاملة اليهود لغيرهم وما يكنونه لهم من بغض ويبيتون لهم من شر[١].

موقف الرسول من اليهود في مكة:

لم يكن في مكة لدى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وجود يهودي ذو بال وخطر، كما كان امرهم في المدينة. بل كل الذين كان منهم افراد قليلون لا يحسب لهم حساب ولا يخشى بأسهم، وكان الرسول وهو في مكة يبلغ الرسالة مفرغا كل همه لتثبيت عقيدة التوحيد في مواجهة الوثنية، بل والعمل على هدمها وابطالها.

وعقيدة التوحيد تلتقي في الاساس مع عقيدة اليهود وتؤكد ما معهم. ولذلك لم يكن ثمة اي داع للمصادمة مع اليهودية. وان آيات القرآن في هذه الفترة من الوحي كانت تتنزل مستعرضة ماضي اليهود وما كانوا يلاقونه من عذاب من مختلف الحكام على مر العصور، ومتحدثة عن عاقبة

(١) اليهودية واليهودية المسيحية فؤادحسنين صفحة ١٢٥- ١٣٧

الطغاة والظلمة والجاحدين لأنعم الله.

بل كان بعضها بشيد بما كان من اهل الكتاب عامة واليهودية خاصة من تصديقهم للرسالات،فقد ورد قوله تعالى: (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين)[1]. وقوله مستشهدا بهم على صدق الرسالة والقرآن:(والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[2]. وقوله:(فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك) [3]. وقوله: (أولم يكن لهم آية أَنْ يعلمه علماء بني اسرائيل) [4] وكل هذه الآيات مكيّة أي في الفترة التي سبقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة..

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم وكثيرا من السور المكية لرأينا كيف انها كانت توجه الرسول الكريم الى هدي الأنبياء السابقين وتحضه على التأسي بسيرتهم والاقتداء بسلوكهم، يقول تعالى بعد ان استعرض مجموعة انبياء بني إسرائيل:(أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين،أولئك

---

(١) الجاثية ١٦
(٢) الانعام ١١٤
(٣) يونس ٩٤
(٤) الشعراء ١٩٧

الذين هدى الله فبهداهم اقتده) [1] وجميع هؤلاء الانبياء من بني اسرائيل.. الأمر الذي يحمل على القول بان الاسلام في مطلع عهده لم يتخذ من اليهودية موقفا معاديا، بل على العكس كانت له مواقف كثيرة فتحت الباب امام اليهود للثقة بالنبي والاطمئنان اليه والمبادرة الى احسان العلاقة به وقبول دينه.

استمالة اليهود لمحمد:

كان اليهود الذين يستوطنون المدينة قبل مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليها يحملون العقائد التي حوتها التوراة المحرفة والتلمود. وهي عبارة عن وحدانية الله الخالق مشوبة بوثنية قديمة بعضها آسيوي والبعض الآخرأفريقي، ولم يستطع انبياء بني اسرائيل مع كل جهودهم، ان يعودوا باليهودية الى أصولها الصحيحة في نفوس شعب اسرائيل. وظل الاعتقاد لديه انه شعب الله المختار ليعلِّم البشر الوحدانية، وان الله قد اوصاه بالسبت والأعياد والوصايا العشر والتابوت، كما عاهده بان يجعل توراته في قلوب ابنائه. وظل موسى هو نبيهم، وهم ينتظرون ظهور المسيح ليخلصهم من العذاب ويجمع شملهم. وشعب اسرائيل يؤمن

---

(١) الانعام ٨٩- ٩٠

بالبعث وبخلود الروح، وينكر نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، وينكر بالتالي الانجيل والقرآن[1].

ورغم هذه العقائد التي ينطوي عليها، بادروا بمجرد دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة الى احسان استقباله والتودد اليه، املا باستمالته اليهم وضمه الى حلفهم ليعاونهم في تأليف الجزيرة وتوحيدها للتصدي لمجابهة النصرانية التي أجلتهم عن فلسطين التي يعتقدون بانها ارض الميعاد ووطنهم القديم.

مقابلة الرسول لهذه المبادرة:

ولقد رد الرسول تحية اليهود هؤلاء باحسن منها، بل سعى الى توثيق صلاته بهم خصوصا وانهم في نظره اهل كتاب وموحدون فكان يصوم يوم صومهم، وكانت قبلته في الصلاة بيت المقدس حتى ستة عشر شهرا من هجرته كما ورد في الصحيح وهو البيت الذي تتوثّب اليه قلوب بني اسرائيل.

عقد معاهدة معهم:

وقد أنمت الايام خطوات الصداقة هذه بينه وبين

---

(١) اليهودية واليهودية المسيحية صفحة ٢١/١١٢/١١٣/١١٥

اليهود حتى اكتملت بعقد معاهدات صداقة وتحالف معهم كانت ولا تزال من الوثائق السياسية الرائعة في تاريخ الاسلام بل والانسانية، واعدهم فيها صلى الله عليه وسلم وعاهدهم، واقرهم على دينهم واموالهم واشترط عليهم وشرط لهم، وقرر فيها حرية العقيدة وحرية الرأي وحرمة المدينة والحياة والمال، وتحريم الجريمة، فكانت حدثا جديدا منفتحا في الحياة السياسية والمدنية اذ ذاك، ومما جاء في هذه المعاهدة: (ان من تبعنا من يهود، فان لهم النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وان اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم نفسه فانه لا يوتغ - يهلك الا نفسه - واهل بيته. وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر من حارب من اهل هذه الصحيفة[1].

اهل الكتاب في نظر الدعوة الحديثة:

ومما هو ثابت في الاسلام انه دين لا يبغي إلا نشر السلام والعدل وجمع الكلمة على اساس من التوحيد الخالص

(١) راجع هذه الوثيقة في مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله صفحة ٣٧

لله وحده، لذلك كانت من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المقابلة ليهود المدينة، وهم الذين يزعمون انهم يحملون عقيدة التوحيد، املا باجتذابهم اليه ايضا وهم اشد بأسا من اهل مكة واوفر مالا وأكثر جمعا واحسن تنظيما واوسع علما وخبرة، تساندهم الحصون كما تساندهم ميول كثير من الاوسيين والخزرجيين الى ديانتهم[1]. فأفهمهم ان الدعوة الجديدة هي لهم وللعرب جميعا.

وقد جاءت الأيات الاولى نزولا في المدينة تحمل طابع الدعوة العالمية وتصرح بدخول اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فيها، بل تتوجه احيانا الى اليهود باسمهم وتخصهم بالخطاب. يقول تعالى: (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون. ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)[2]

---

(١) الروض الأنف جزء ٢ صفحة ٢١

(٢) البقرة ٤٠- ٤٤

ويقول: (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم، فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد).

أثر هذه المعاملة والمعاهدات:

ولقد كان لهذا الرباط الاجتماعي المتواد بين النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه من جهة ويهود المدينة من جهة اخرى انعكاساته الطيبة على مجتمع المدينة، فنعم السكان بالاستقرار الاجتماعي والديني، وسكن المسلمون الى دينهم وكذلك اليهود، لا يخاف احد منهم اذى ولا يخشى عدوانا بل كان له اثره الكبير على مجتمع المسلمين بالذات الذين لا يزالون في مرحلة التجمع والتكوين، اذ منحه فرصة الالتفاف الى الذات وتجميع القوى وتعزيز الوجود حتى لم يكد يمضي على ذلك كبير وقت حتى اشتد واستوى على سوقه وجعل يتسع وينتشر ويزداد اتباعه.

ريبة اليهود وبداية تخوفهم:

ولم يكن هذا الواقع إلا ليبعث مع الزمن في نفوس اليهود الريبة من الدعوة الجديدة وصاحبها والتخوف من خطر نشاطه عليهم، وبخاصة بعد ان بدأت تتسرب الى

بعض ابنائهم. بل وبعض احبارهم أمثال عبد الله بن سلام. فهم ما أحسنوا استقباله ولا اظهروا له المودة الا ليكون لهم منـه قوة على خصومهم النصارى، اما بضمه اليهم او بمحالفته، وعيشه في ظلهم وتحت كنفهم. اما ان يزداد هو قوة ويكثر عددا، حتى بات يفكر بأخذ موقف من قريش ردا على ما كان منها تجاهه وتجاه اتباعه المؤمنين، ثم ينكشف جمعهم فينضم منهم من ينضم اليه من ابنائهم وبخاصة بعض احبارهم، ويفشلون نهائيا في استمالته ويرون بأعينهم التفاف الناس حوله وازدياد اندماجهم بمجتمعه يوما بعد يوم، فهذا ما لم يكونوا ينتظرونه، ولذلك بدأت تتفاعل الريبة في نفوسهم وتنعكس عليها خوفا وحذرا شديدين.

ابتداء العداوة:

ولذلك لم يعد ثمة مناص من اعادة النظر في موقفهم الذي كان منهم وقت دخول النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة. وبالفعل فقد اعتمدوا منهجا جديدا للتعامل معه، يظهرون فيه بشخصيتهم المتميزة، ولا ينغمسون فيه في عداوة ظاهرة معه، لقد اعتمدوا منهج الحوار والجدل

وطرح الاسئلة عليه الذي ظاهره محاولة فهم ما عنده لتعقله، وباطنه زعزعة يقين بعض من اتبعه ممن لا يزالون على عتبة الايمان، وصرف من يفكرون باتباعه نهائيا منه، ولملمة فلول المناوئين له والمخالفين، ليكونوا كتلة واحدة قادرة على المجابهة والمواجهة، ثم اذا لم يجد هذا فحرب الدسائس والكيد والمخاتلة والنفاق، ثم القتال السافر والمجابهة المسلحة....

صور من الجدل والاسئلة:

ومن صور هذا الجدل الماكر ما جرى بين فنحاص اليهودي وابي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد ورد ان ابا بكر تحدث الى يهودي يدعى فنحاص ودعاه الى الاسلام فقال له اثر جدال جرى بينهما عن الاسلام: والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر، انه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا. وانا عنه أغنياء وما هو عنا بغني. ولو كان غنيا ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم. ينهاكم عن الربا ويعطيناه. ولو كان غنيا ما أعطانا. وفنحاص في هذا يشير الى قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة)[1]

---

(١) البقرة ٢٤٥

وبالطبع لم يكن ابو بكر رضي الله عنه ليطيق هذا الأسلوب من الخطاب فما كان منه الا ان لطم فنحاص بشدة وقال له: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك يا عدو الله[1] وشكا فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم ما فعله به ابو بكر، وانكر ما قاله هو له، فنزل قوله تعالى: (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق)[2]

وقال الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت يهود وقالوا: يشبه كلام الله وذلك للتشكيك به فأنزل الله تعالى قوله: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها؛ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً)[3]

وأخرج الترمذي عن جابر بن عبدالله قال: قال أناس

---

(١) المفصل في تاريخ العرب- جواد علي- الجزء السادس صفحة ٥٤٨

(٢) آل عمران ١٨١

(٣) البقرة ٢٦

من اليهود لأناس من اصحاب النبي: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا ، فجاء رجل الى النبي فقال: يا محمد غلب أصحابك اليوم قال: وبم غلبوا؟ قال : سألهم يهود. هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قال: فماذا قالوا؟ قال: قالوا لا ندري. قال أفغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا؟ لكنهم قد سألوا نبيهم، فقالوا أرنا الله جهرة، علي يا أعداء الله اني سائلهم عن تربة الجنة وعن (الدرمك) فلما جاؤوا قالوا يا أباالقاسم: كم عدد خزنة جهنم؟ قال: هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة، قالوا نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة؟ قال فسكتوا هنية ثم قالوا أخبره يا أبا القاسم؟ فقال رسول الله (الخبز من الدرمك)[1]

وحينما بلغ اليهود ان محمدا يقول ان الله قد اخذ عليهم الميثاق وان من اسس هذا الميثاق الايمان به قال مالك بن الصيف للنبي صلى الله عليه وسلم: والله ما عهد الينا فيك عهد وما اخذ لك علينا ميثاق، فأنزل الله تعالى: (اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم)[2]

---

(١) القرطبي الجزء ١٩ ص ٨٠

(٢) البقرة ١١٠ وابن هشام الجزء ٢ صفحة ٢٦ والمفصل في تاريخ العرب الجزء السادس صفحة ٥٥١

وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال على ملة ابراهيم ودينه. قالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما: فهلما الى التوراة فهي بيننا وبينكم. فأنزل الله تعالى: (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم تولى فريق منهم وهم معرضون)[1]

وسأل شهر بن حوشب يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع: عن سر انتقال شبه الأب او الام الى الولد ، وعن نومه ويقظة قلبه كيف يكون؟ وعن الذي حرمه اسرائيل على نفسه، وعن الروح. كما سأله حيي بن أخطب وجماعة عن ذي القرنين،وسأله آخرون عن الساعة وغير ذلك كثير ورغم انه صلى الله عليه وسلم قد اخذ عليهم المواثيق انه ان هو اجاب آمنوا، فقد كذبوه ورفضوا مقالته حتى اضطر يوما أن يخرج جماعة منهم من المسجد بعد أن دخلوه ليسألوه بعض أسئلتهم الموسومه دوما بالاحراج والمضايقة وذلك بعد أن رآهم يتهامسون وبعد أن رأى مخايل الريبة والدس تظهر على تصرفاتهم[2]

---

(١) آل عمران ٢٣

(٢) ابن هشام جزء صفحة ٢٩- ٣٤

صورة من تحدياتهم وتشكيكاتهم ودسائسهم:

وقد قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد مرة لرسول الله يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء، نقرؤه، وفجر لنا أنهارا، نتبعك ونصدقك، فأنزل تعالى: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل)[1] وقال رافع هذا مرة يا محمد ان كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فانزل الله تعالى في ذلك: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون)[2].

لقد سلكوا سبيل تشكيك الناس بالنبي وبالاسلام، واستعانوا بكل حيلة ووسيلة وفجور، فزعموا ان الله هو الذي يعبده بنو اسرائيل، اما الناس الآخرون فلا يحق ان يكون لهم هذا الاله، اذ لا يجوز تسويتهم بغيرهم وهم شعب الله المختار. وقد روت صفية ام المؤمنين قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء، غدا عليه ابي

---

(١) البقرة ١٠٨ وابن هشام الجزء ٢ ص ٣٦

(٢) البقرة ١١٨

حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب فلم يرجعا به حتى كان غروب الشمس فأتيا كالَّيْن كسلانين متساقطين يمشيان الهوينى. فهششت اليهما، فما التفت اليّ احد منهما مع ما بهما من الغم، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي أهو هو؟ اي المبشر به في التوراة؟ قال نعم والله. قال أتثبته؟ يعني هل أنت متأكد من ذلك؟ قال نعم. قال ما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت أبدا... وليس عن عبث يقول الله تعالى: (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا)(١)

وقد اقترح عبد الله بن صيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف أن يظهروا للناس انهم آمنوا ثم بعد ذلك يعلنون عدولهم عن الإيمان ويجهرون بالكفر، فإذا رأى الناس ذلك قالوا: لولا أنه ظهر لهم كذب محمد لما عدلوا عن الايمان به هم أهل علم ودراية. وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره لعلهم يرجعون)(٢).

وطرحوا دعوى شعب الله المختار في حوار صريح مع

---

(١) المائدة ٨٢

(٢) آل عمران ٧٢

النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عندما دعاهم الى الاسلام فأجابوه: أتخوننا يا محمد ونحن ابناء الله واحباؤه، فرد الله عليهم بأن حبيب الله هو المؤمن التقي، وأما من كفر وعصى فهو عدوه كما اخبر بان من احبه تمنى لقاءه. ولكن اليهود لا يتمنون هذا اللقاء لانهم يعلمون حقيقة امرهم فقال تعالى: (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)[١] وقال: (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى! تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)[٢]. ورد عليهم ايضا دعواهم بأنهم لن تمسهم النار فقال: (وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة! قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون. بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[٣].

وقد بذلوا قصارى جهدهم لصرف الناس عن القرآن،

(١) البقرة ٩٤- ٩٦

(٢) البقرة ١١١

(٣) البقرة ٨٠- ٨١

وفتنة المسلمين في دينهم، وذلك عن طريق نقل الاخبار الكاذبة عن توراتهم ليضلوا بها المؤمنين فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: كان اهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين: (لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون)[1]

وقد روى عن ابن جرير عن عبد الله بن مسعود انه قال: لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا؛ اما ان تكذبوا بحق او تصدقوا بباطل. وكثيرا ما حاول بعض البارزين منهم استجرار الرسول الله صلى الله عليه وسلم واستمالته فقد اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال كعب بن اسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من اليهود: اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يا محمد انك عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم

(١) البخاري جزء ٩ ص ١٣٦ طبعة الشعب

ونؤمن لك ونصدقك، فابى ذلك[1] وانزل الله عز وجل فيهم (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليـك، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)[2].

ومن الشكوك التي اثاروها على شريعته صلى الله عليه وسلم انهم قالوا انه يدعي انه اولى الناس بابراهيم وانه على طريقته، وهو في نفس الوقت يحل أكل الأبل وهي محرمة عند ابراهيم، فأنزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم بان الطعام واللحوم كانت حلا لبني اسرائيل، اي يعقوب، الا ما حرم اسرائيل على نفسه، وذلك من قبل ان تنزل التوراة، وتحداهم ان يتلوا التوراة ليجدوا صدق هذا القول وكذب دعواهم، يقول تعالى: (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين)[3] وقد

---

(١) تفسير المنار الجزء ٦ ص ١٢٤

(٢) المائدة ٤٩

(٣) آل عمران ٩٣

سأله جماعة منهم عن الشيء الذي حرمه اسرائيل على نفسه وسببه فقال لهم: انشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه كان احب الطعام والشراب الى اسرائيل ألبان الأبل ولحومها، وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب اليه شكرا لله، فحرم على نفسه لحوم الأبل وألبانها[1]، ونقل ابن اسحاق عن ابن عباس ان الذي حرمه اسرائيل على نفسه هو زائدتا الكبد والكليتان والشحم إلا ما على الظهر منه[2]

وحاولوا استغلال تغيير قبلة المسلمين من بيت المقدس الى البيت الحرام فقالوا ان كان اتجاه محمد الى بيت المقدس صوابا فلماذا ترك الصواب الى غيره وهو الكعبة؟ وان كان اتجاهه الى بيت المقدس خطأ كان ذلك دليلا على جهله وتضليله لأتباعه واضاعته لصلاة أتباعه التي صلوها متجهين اليها، وقد رد الله عليهم بقوله: (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون

---

(١) ابن هشام الجزء ٢ ص ٣٤

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٥

الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله، وما كان ليضيع إيمانكم)[١] (اي صلاتكم الى البيت المقدس)

ثم جاهروا بانكار القرآن ان يكون كتابا من عند الله وعللوا ذلك بان واسطة انزاله على محمد هو جبريل وجبريل عدو لهم لانه كان ينزل عليهم باشق التكاليف فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله: (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين. من كان عدو لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين.[٢]

صور للعداوة السافرة والنفاق:

وكثيرا ما دفعهم حسدهم للرسول وبغضهم للاسلام والمسلمين الى أن فضلوا الشرك وعبادة الاوثان على التوحيد، فقد ورد ان حيي بن أخطب وأبا رافع سلام بن ابي الحقيق والربيع بن الربيع بن ابي الحقيق وأبا عمار الوائلي وهم من بني النضير ونفرا من بني وائل ساروا في

---

(١) البقرة ١٤٢- ١٤٣

(٢) البقرة ٩٧- ٩٨

وفد الى مكة لتأليب قريش على محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق، وفيهم نزل قوله تعالى: (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا. أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، أم لهم نصيب من الملك فاذاً لا يؤتون الناس نقيرا، أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى بجهنم سعيرا)[١]. وقد حملتهم عداوتهم هذه النابعة من حقدهم وحسدهم وعنصريتهم ان بالغوا في المكابرة وجحود الحق والتخلي عما انتهى اليهم من العلم الصحيح؟ فقال حيي ابن اخطب وكعب بن أسد وابو رافع لعبد الله بن سلام حين اسلم: ما تكون النبوة في العرب ولكن صاحبك ملك[٢].

وأطلقوا السنتهم بالفاظ نابية تناولوا بها شخص النبي

---

(١) النساء ٥١- ٥٥

(٢) ابن هشام الجزء ٢ صفحة ٤٤

صلى الله عليه وسلم مواجهة، او غير مواجهة وجندوا مجموعة منهم للطعن به علنا وبين الذين يعادونه فكان بعضهم اذا سلم عليه صلى الله عليه وسلم لوى لسانه بلفظة السلام فقال: السام عليك يا محمد، والسام هو الموت. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليه: وعليك. ويأبى أن يزيد على ذلك فضلا منه وترفعا، وقد حصل ذلك مرة وعائشة رضي الله عنها حاضرة فسمعت ذلك وردت بقولها: بل عليكم السام واللعنة: فقال لها رسول الله: يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله. فقالت أولم تسمع ما قالوا؟ قال: قلت وعليكم.

وكان كعب الأشرف - وهو عربي من طيء وأمه يهودية غنيا وشاعرا يعطي احبار اليهود ليستمروا على مناوأته صلى الله عليه وسلم. ولما انتصر صلى الله عليه وسلم في بدر غاظه ذلك فذهب الى قريش يحرضهم على الثأر مكثرا من هجر الرسول ومشببا بنساء المسلمين(١).

وكذلك كان أبو عفك وعصماء بنت مروان وسلام ابن ابي الحقيق وكنانة ابن ابي الحقيق واخوه الربيع وحيي ابن اخطب.

---

(١) ابن هشام صفحة ١٢٣

ولكن لما استفحل امرهم وزاد نشاطهم في التحريض على الرسول والطعن فيه والعيب على الاسلام لم يعد بد من التصدي، لهم فانتقم منهم جميعا وارسل اليهم من قتلهم وأدب بهم الآخرين وجعلهم سلفا ومثلا... وحاولت زينب بنت الحارث روجة سلام بن مكشم النضيري قتله صلى الله عليه وسلم فأهدت له بعد فتح خيبر شاة مسمومة فانجاه الله منها ولكن مات فيها بعض المسلمين فقتلها رسول الله قصاصا[١].

ثم حاولوا ايذاءه بتسليط السحر عليه وكذلك المشعوذين، فعهدوا الى لبيد بن الاعصم اليهودي ليتتبعه ويوجه سحره عليه عله ينال منه[٢]، والعلماء وان كانوا في ذلك في خلاف ما بين مؤكد لوقوع اذاه عليه وناف له، فان مما لا شك فيه ان هذا الخبر ينقل الينا صورة جلية من صور حقد هؤلاء اليهود على الرسول صلى الله عليه وسلم وعزمهم الضاري للايقاع به مهما كلف الأمر.

وقد ابتدعوا اخطر ما ابتدعوه في مواجهته خط النفاق، فكونوا جماعة منهم ومن بعض العرب الذين الف بينهم حقدهم وحسدهم او تمكنوا من استغفالهم واستمالتهم،

---

(١) ابن هشام الجزء ٢ صفحة ٢٤٣

(٢) البخاري طبعة الشعب جزء ٤ ١٢٣

فكانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر، يخادعون بذلك الله ورسوله والمؤمنين، وقد برع عدد كبير منهم في هذه المهمة وكانت لهم وقائع واحداث مع الرسول ومع المؤمنين سجلتها كتب السيرة واشار اليها القرآن الكريم في سورة (البقرة والنساء والتوبة والاحزاب والحشر والمنافقون) وغيرها، واكد فيها كلها ان هؤلاء المنافقين في نفاقهم هذا انما يخدعون انفسهم، لان ذلك لا يخفي على الله وهو كاشفه لرسوله، وانهم في النهاية في الدرك الاسفل من النار، وان الله جامعهم والكافرين في جهنم جميعا.

ورغم كل ذلك التآمر فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصبر عليهم ويعاملهم كما لو كانوا مؤمنين لحكمة اوضحها وسنوردها فيما بعد. ولما مات رأسهم وهو عبد الله ابن ابي بن سلول جاء ابنه الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه ان يعطيه قميصه ليكفن به أباه فاعطاه الرسول قميصه، ولما عاتبه بعض الصحابة في ذلك قال: (ان قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً، واني لأرجو ان يسلم بفعلي هذا الف رجل من قومه) وقد وقع في مغازي ابن اسحاق وفي بعض كتب التفسير انه قد اسلم وتاب لهذه الفعلة الف رجل

من منافقي الخزرج[1]، وعقب غزوة بني المصطلق قال عبد الله هذا تعليقا على شجار وقع بين أنصاري من الخزرج ومهاجري: او قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما عدنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول: سمِّن كلبك يأكلك. اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل. ولما بلغ عمر بن الخطاب هذه المقالة وهو عند رسول الله، قال له مر عباد بن بشر فليقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه[2]، ولكن اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم باتباع خطة الاذلال وذلك بتكليف ابنه عبد الله بأن يأخذ من ابيه اقراره بخطئه. وقد رتب عليه بأن لا يسمح له ابنه بالعودة الى المدينة حتى يشهد على نفسه بقوله هو الذليل ورسول الله هو العزيز.

وقد ظل الأمر هكذا مع هذه الفئة من الناس، حتى افتضح امرهم اخيراً بآيات سورة براءة. واسدل الستار نهائيا في الجزيرة عليها.

محاورتهم الرسول: وكثيرا ما كان يدفع بهم غرورهم الى

---

(١) القرطبي جزء ٨ صفحة ٢١٦

(٢) ابن هشام الجزء ٢٢ صفحة ٢١٧

تحدي الرسول وحمله على مناجزتهم ولكن كان يصبر عليهم ويلاينهم حتى تكون البادرة منهم. من ذلك انه بعد رجوعه من بدر جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال لهم: (يا معشر يهود اسلموا قبل ان يصيبكم الله بمثل ما اصاب قريشا) فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك انك قاتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال، انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا، فأنزل الله فيهم: (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد)[1].

وذات يوم تعدت جماعة من بني قينقاع على امرأة مسلمة واوشكوا ان يهتكوا سترها فاستنجدت ببعض المسلمين، وكانت واقعة بني قينقاع المشهورة حيث ارسل الرسول بجيش حاصرهم خمسة عشر يوما نزلوا في نهايتها على حكمه صلى الله عليه وسلم، ولكن تشفع بهم رأس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول والح الحاحا شديدا في ذلك حتى اضطر معه الرسول صلى الله عليه وسلم الى النزول على شفاعته، فعفا عنهم واكتفى باجلائهم عن منازلهم الى

---

(١) آل عمران ١٢

اذرعات في الشام[١]، وفي هؤلاء نزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) الى قوله تعالى: (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)[٢].

ونقض بنو النضير عهدهم وحاولوا قتله صلى الله عليه وسلم وذلك بتثبيت العزم على القاء صخرة عليه، فانقذه منهم جبريل عليه السلام الذي اخبره بصنيعهم، وقد حاصرهم ايضا رسول الله حتى استسلموا ورضوا بان يجلوا عن المدينة لا يحملون معهم الا ما تحمله ابلهم من اموال ما عدا الدورع، فجلوا الى خيبر ثم سار بعضهم إلى الشام.[٣] وفي هذه الغزوة نزلت سورة الحشر بكاملها...

وكذلك فعل بنو قريظة الذين تآمروا على النبي مع قريش رغم عهدهم، وذلك في وقعة الاحزاب. فحاربهم الرسول بعد انتهاء وقعة الاحزاب، ولم يقبل ان يكون جزاؤهم الا القتل للرجال والسبي للذراري والنساء وتقسيم

---

(١) البخاري جزء ٤ صفحة ١٢٠

(٢) المائدة ٥١- ٥٦

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٦

الاموال. وفي هذه الغزوة نزلت سورة الاحزاب.

ولم تكن خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك أقل ايذاء للرسول وتعديا عليه وعلى اصحابه وتصديا لدعوته واستهزاء بها من السابقين، ولذلك لم يكن بد من تتبعهم جميعا مرحلة بعد اخرى بغزوات عسكرية منظمة انتهت كلها بنصر المؤمنين وهزيمة اليهود وكسر شوكتهم واستئصال شافتهم.

لقد بالغ هؤلاء اليهود في عداوتهم للاسلام ولمحمد عليه السلام وللحق، فاتبعوا اهواءهم واستجابوا لاحقادهم وحسدهم، وتجاوزوا كل حد واعتبار، وكل معنى وقيمة، ولم يبالوا باية عقيدة او دين. ووصل بهم الأمر ان مالأوا كما رأينا سابقا الوثنيين ضده، بل مالأوا مدعي النبوة والكذابين امثال طلحة بن خويلد الاسدي والاسود العنسي...

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود: من الاطلاع على ما تقدم يتبين لنا مدى ما انغرز في نفس اليهود عامة من كره لغيرهم، ورفض لكل خير او حق او علم يكون من سواهم، وحقد اسود ينبعث من قلوب قُدَّت من

الصخور على أية جهة تدعي من دونها تعليم الناس وهدايتهم الى الصراط المستقيم.

كما ظهر لنا بالتالي بوضوح في الوقائع التي ادرجناها عمق غرور انفسهم وكبرها وتجلي حقدها على محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته الجديدة، ورفضها الاصغاء لأية كلمة حق والاستجابة لأية دعوى خيرة؛ ذلك ان قلوبهم كما وصفوها كانت غلفا، وفي آذانهم وقر، وعلى ابصارهم غشاوة وفي نفوسهم مرض.

وقد تجلى لنا من خلال ما نقلناه عنهم من فكر ووقائع واخبار ما كان للرسول صلى الله عليه وسلم بتوجيه من الوحي العظيم من موقف تجاه هذه الطغام من البشر، ولكن مع ذلك فلا مندوحة من استعراض ذلك في حديث خاص به.

تلخيص لاعمال اليهود ومواقفهم من الرسول والاسلام:

لقد استهزأوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وشهروا به وجندوا له من ابنائهم واتباعهم من يتفرغ لذلك،واستهزأوا بالاسلام، وهددوا المسلمين بقتالهم بعد غزوة بدر، وأفشلوا المعاهدة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم معهم،

وحاولوا شل حركته وقوته الفكرية والجسدية باستخدام كل الوسائل الظاهرة والباطنة حتى السحر، كما حاولوا قتله بمختلف الوسائل ولكن حفظه الله تعالى من كيدهم، ثم نقضوا العهد، وآذوا المسلمين اقتصاديا، فجربوا كل الوسائل لاحتكار السلع بل والماء حتى كان احدهم يبيع ماء بئر رومة للمسلمين الأمر الذي اضطر النبي لشرائها فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه ووهبها للمسلمين. وعملوا جهارا وخفاء لتفريق وتفتيت جمع المسلمين ووحدتهم بإثارة دعاوى الجاهلية فيهم ولكن باؤوا بالفشل المبين بفضل الوحي الذي كان يتابع واقع المسلمين ويعزز وجودهم. وتآمروا مع المشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم ونسوا انهم اهل كتاب واتباع نبي.

كان كل ذلك منهم وغيره مما يجوز ان نكون قد غفلنا عنه في هذا البحث المختصر فماذا كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان تصديه له.؟

لا بد من التذكير باننا عندما نذكر موقف الرسول صلى الله عليه وسلم نعني هنا بالغالب موقف الاسلام اي موقف الوحي الذي كانت ناصية الرسالة بيده، ولهذا فان الرسول

صلى الله عليه وسلم خرج من مكة مهاجرا باذن الله تبارك وتعالى ومحفوظا بعين رعايته وعنايته ومشيعا بكل الامدادات الادبية والمادية التي يفتقر اليها.

فهو اذن لم يدخل المدينة الا وكانت نفسه مهيأة كل التهيؤ لتحمل مسئولياته فيها سواء كان في مواجهة اليهود خاصة او مواجهة جميع سكان المدينة عامة، ولقد كان من اهم ما شحنه به الوحي الكريم من ميزات ومشخصات لتحمل المسئولية صفة الصبر وتوطين النفس لتلقي الكثير من الاذى والعنت، والسلوك المنهجي الحكيم المميز بالمعاملة الحسنة لكسب المناوئين والمخالفين، يقول تعالى: (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)[1] ويقول: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور)[2]. ويقول: (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم)[3].

ومن هنا كان تصدي الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) الروم ٦٠
(٢) آل عمران ١٨٦
(٣) العنكبوت

للعدوان اليهودي ومكرهم ولأراجيفهم وحقدهم ونفاقهم تصدّي المتمكن الواثق، العليم الخبير الذي لا يؤخذ على غرة او غفلة او من ضعف، وكان تصرفه تصرف المالك لزمام أمره الذي لا يظلم ولا ينحرف ولا يزل ولا يجهل.

ولقد كان من مقتضى الحكمة الرائدة الهادية المهدية ان يتحمل الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرونة واللين وسعة الصدر والتحمل، أملا بتوفير الأجواء الصالحة لهؤلاء اليهود ومن انجرف معهم علهم يرشدون ويهتدون، وبالتالي اذا لم يشاؤوا ذلك يقيم الحجة عليهم فيأخذهم بحق وينال منهم بعدل. حتى اذا ما اذن الله له بقتال المعتدين واجه ذلك مع اتباعه دون ان يكون قد تجاوز الحدود.

ولقد كشف الوحي الشريف بالاضافة الى ما سبق- سواء كان عن طريق القرآن او الحديث النبوي- ما انطوت عليه العقيدة اليهودية من زيف وتحريف، وما اتسمت به من ضلال ووثنية كما كشف ما انطوت عليه النفس اليهودية من عنصرية وغرور ونفاق وأثرة، ونبه الى خطر كل هذه الامور على الجماعة الانسانية بشكل عام والمسلمة بشكل خاص، وان مراحل التعامل معهم التي تعرضنا للفت النظر

الى طرف منها فيما سبق لتوضح هذه الحقيقة بجلاء.

ولقد كان من سأم الرسول صلى الله عليه وسلم ويأسه من هؤلاء ومن أن تنزل الدعوة الصالحة من نفوسهم منزل الرضى والقبول، او ان يتحقق معهم قدر ولو ضئيل من التعاون والتفاهم يصلح مع التعايش، أن اعلن بجزم قاطع غضب الله عليهم ولعنته اياهم، ونهيه المؤمنين عن مناصرتهم ومناصحتهم فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور[1]). وقال: (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة[2])

هؤلاء الذين عصوا الله في الماضي ولا يزالون وقتلوا الأنبياء بغير حق واعتدوا على حدوده ومحارمه، واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقابلوا تذكيرات الله تعالى ووصاياه وتحذيراته بقلوب هي كالحجارة او اشد قسوة، لا تخشع ولا تلين ولا ترتدع حتى قال فيهم تبارك وتعالى: (ذلك بأنهم يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما

---

(١) الممتحنة ١٣ (٢) آل عمران ١١٢

عصوا وكانوا يعتدون)[1].

فلا عجب ان يأخذ الرسول منهم اشد المواقف اخيراً وبعد طول علاج وصبر، وان يطردهم نهائيا من الجزيرة العربية لتسلم للمسلمين وحدهم ولتنجو من مكرهم وكيدهم وعبثهم وتلاعبهم بالحق، روى الامام احمد عن ابي عبيدة ابن الجراح قال: آخر ما تكلم به رسول الله قال: (أخرجوا يهود اهل الحجاز ونصارى نجران من جزيرة العرب).

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع الا مسلما) بل انه ليبدو لنا اليوم وفي هذا العصر الذي نعيش فيه ومن خلال تجاربنا الحديثة مع هؤلاء ان كل ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم من انزال العقاب سواء كان على صعيد الافراد الذين تطرفوا في ايذائه وايذاء المسلمين او على صعيد الجماعة أنه كان في محله، بل دون ما يستحقون احيانا آخذا بمبدأ (فمن عفا وأصلح فأجره على الله[2]).(ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)[3]

---

(١) البقرة ٦١

(٢) الشورى ٤٠

(٣) الشورى ٤٣

لقد سلك صلى الله عليه وسلم مع اليهود كل سبيل للتفاهم والتعاون واستنجد بكل اسلوب، ولم يبادر الى اتخاذ اي موقف حاسم معهم الا بعد ان اصبح عدم أخذه سينقلب عليه وعلى دعوته. ولكنهم رغم ذلك لم ينتهوا ولم يرعووا بل ازداد طمعهم فيه وتابعوا تنفيذ خطة الحقد والتآمر والكيد والعدوان، وذهبوا على التاريخ يلعبون بالادوار تلو الادوار لقتل عظيم في الاسلام او لنسف كيان او لتفريق جمع او لنشر فتنة او لدس فكرة خبيثة او خبر كاذب.

ويقول المؤرخون ان كعب الاحبار هو الذي تآمر على قتل عمر رضي الله عنه، وان عبد الله بن سبأ هو الذي دفع الناس في مصر للثورة على عثمان رضي الله عنه وبالتالي لقتله، وهو الذي فرق المسلمين الى سنة وشيعة وطوائف متعددة بما بثه فيهم من فكر وثني وشعوبي وما زينه لهم من مفاهيم ما انزل الله بها من سلطان. واليهود بالاجمال هم الذين بعثوا الحركة الصليبية في اوروبا وجيشوا جيوشها وأثاروا حفاظ الناس فيها حتى كان منها ما كان من بلاء ومحن على الشرق العربي خاصة وبلاد الاسلام والانسانية

عامة، حتى انتهوا اخيرا الى محنة فلسطين التي لا تزال تكوى بلهيبها وتصلى بنارها.

فهل سيستمر يا ترى هذا البلاء وتتلاحق فتنته، ام ان الله تعالى سيهدي قومنا ويجمع شملهم ويوقظ قلوبهم ويوقد النفوس بحرارة الايمان والاخلاص ويكون منهم الموقف الحاسم الكريم العزيز؟....

موقف النبي صلى الله عليه وسلم من النصارى.

١ - اضطهاد اليهود والرومان للمسيحية: ما كان يمضي على مبعث عيسى عليه السلام الى بني أسرائيل وقت طويل حتى انبرت له اليهود بصلفها وغرورها ومكرها، واجتهدت تدس عليه الدسائس للايقاع به لدى السلطات الرومانية اذ ذاك، حتى نجحت واصدر الحاكم الروماني حكمه بصلبه. ولكن الله تعالى تدخل في الامر وانقذه في الوقت المناسب اذ القى شبهه على احد الذين تآمروا عليه، فقبض عليه وصلب ورفع الله تعالى عيسى عليه السلام اليه ولم يمكن عدوه منه فلم يصلبه ولم يقتله ولكن شُبِّه له...

٢ - انتقال العداوة الى اتباع عيسى عليه السلام، وفي اثر ذلك انتقلت هذه العداوة الى اتباعه والمؤمنين به، وانتقل اليهم معها التعذيب والتنكيل حتى اضطروا لأن يسيحوا في الارض بحثا عن النجاة والامان. فوجد اكثرهم في رؤوس الجبال وبطون الاودية واعماق الصحارى ملاذا لهم يعوذون به من جبروت الحكام الرومانيين وظلمهم.

٣ - تشويه المسيحية بالوثنية: ولم يكد يمضي على ذلك ثلاثة قرون حتى كان قد اندس الى تعاليم عيسى عليه السلام بفعل الفلسفة الشائعة اذ ذاك والتي كان احد اركانها امينوس وافلوطين، ثم بفعل التنظيم الثالوثي في الوثنية القديمة لدولة الرومان كثير من الصوفية الهندية والوثنية الرومانية. والتعاليم البوذية والبرهمية[١]..وشوهت جمالها وعكرت صفاءها وطمست ضياءها ولبست الحق فيها بالباطل...

٤ - وصولها الى الجزيرة العربية: ولقد كانت الجزيرة العربية احدى المعاقل التي لجأ اليها بعض الفارين بدينهم من أولئك النصارى المعذبين، فنقلوا الى

---

(١) أضواء على المسيحية متولي يوسف شلبي صفحة ٣٠ وما بعدها.

بعض ابنائها عقيدتهم وتعاليمها ، وكان مع الزمن انتشار النصرانية في اطرافها .

٥ - **دخول النصرانية اليها عن طريق الرقيق**: ولقد كان دخول النصرانية ايضا الى الجزيرة العربية عن طريق تجارة الرقيق الابيض والاسود من افريقيا والامبراطورية الرومانية والصقالبة والجرمان من الجنسين ذكورا واناثا، حتى تنصر من العرب قبائل عديدة ذكر منهم بعض المؤرخين قبائل غسان وتغلب وتنوخ ولخم وجذام وسليح وعاملة وغيرها.[١]

٦ - **ظهورها في مكة والمدينة**: وكان للمدينة ومكة من هؤلاء النصارى الوافدين نصيب ،وكان منهم من يلقن تعاليمه ومعتقداته الى من حوله خصوصا وانه قد ثبت ان بعضهم تعلم العربية وتروض على النطق بها وان كان قد ظل الاكثرون منهم يرطنون أو يتلعثمون لدى التعبير بها[٢].

٧ - **خديجة وبعض هؤلاء**: وقد نقل السهيلي ان السيدة خديجة كانت تسمى الطاهرة في الجاهلية والاسلام.

---

(١) المفصل في تاريخ العرب جواد علي الجزء السادس صفحة ٥٨٨.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي الجزء السادس ٨٥ - ٦٠٢.

وانها كانت تسمى سيدة قريش وان النبي صلى الله عليه وسلم حين اخبرها عن جبريل ولم تكن سمعت باسمه قط ركبت الى بحيرا الراهب واسمه سرجس فيما ذكر المسعودي فسألته عن جبريل فقال: قدوس.. قدوس. ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم؟ فقالت بعلي وابن عمي محمد اخبرني انه يأتيه فقال: قدوس قدوس... ما علم به الا نبي مقرب، فانه السفير بين الله وبين انبيائه، وان الشيطان لا يجترىء ان يتمثل به ولا ان يتسمى باسمه[1]، وروي في مكان آخر ان هذا الراهب ليس بحيرا وانما هو نسطورا وهو الذي لقبه ميسرة، وورد انه كان بمكة غلام لعتبة بن ربيعة اسمه عداس كان عنده علم الكتاب وان خديجة ارسلت اليه تسأله عن جبريل فقال: قدوس قدوس. أنى لهذه البلاد ان يذكر فيها جبريل يا سيدة نساء قريش، فأخبرته بما يقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال عداس مثل مقالة الراهب فكان مما زادها الله تعالى به ايمانا ويقينا.

---

(١) الروض الانف الجزء الأول صفحة ١٢٣

٨ - **ابو طالب مع بحيرا**: ونقل ايضا ان ابا طالب سافر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن تسع سنين أو اثنتي عشرة سنة الى الشام ومر في طريقه على بصرى، ونزل على الراهب بحيرا الذي اخبره بان ابن اخيه يكون له شأن عظيم، وطلب اليه ان يحذر عليه اليهود.

٩ - **بعض من تنصر وقرأ الانجيل من العرب**: وذكر المسعودي اسماء عدد ممن تنصر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من العرب، فنذكر منهم ورقة بن نوفل وصيرمة بن ابي أنس، وابا عامر الاوسي وعبيد الله ابن جحش. ومن هؤلاء من مات قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ومنهم من مات بعده، مثل عبيد الله بن جحش الاسدي زوج ام حبيبة بنت ابي سفيان وقد مات عنها في الحبشة وتزوجها من بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زوجه اياها النجاشي ملك الحبشة وامهرها عنه أربعمائة دينار[١].

١٠ -**رسول الله ودسيسة المشركين**: وروى البعض ان اغلب

(١) المسعودي الجزء الأول صفحة ٨٢- ٩٠

الرقيـق الأبيـض الذي كان في مكة، كان على النصرانية، وانه كان فيهم من تعلم العربية ونطق بها. كما كان فيهم من لم يفقهها، وقال ابن هشام:ان رسول الله كان كثيرا ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون:(والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به الاّجبر النصراني) فأنزل الله تعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)[1]

والواقع هو ان رسول الله ﷺ كان يتردد على هذا لغلام لما كان يستأنس ببعض ما لديه من عقيدة أملا باقناعه باعتناق الاسلام.

وقد اشارت بعض كتب السيرة الى غلام آخر بمكة اسمه بلعام وكان قينا، وذكرت ان الرسول ﷺ كان يدخل عليه ويخرج من عنده، فقال المشركون انه كان ﷺ يتعلم منه. وقيل ان ذلك الرجل الذي قال اهل مكة أن الرسول كان يتعلم منه اسمه ابو اليسر وكان نصرانيا.[2] وقد ورد في

(١) النحل آية ١٠٣

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي الجزء السادس صفحة ١٢٠.

كتاب الاصابه ان رسول الله ﷺ كان يعلم بمكة قينا اسمه بلعام. وكان اعجمي اللسان، فكان المشركون يرون الرسول يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا انما يتعلم من بلعام.

١١ -**المستشرقون وهذه الفرية:** ولقد استغل هذه الاخبار المنشورة في كتب السيرة بعض المستشرقين المغرضين فتعلقوا بها ونشطوا في الترويج لها ونفش مضمونها والدس من خلالها حتى خرجوا بها عما تحمله، وقد بالغوا كثيرا فيها، واعتمدوها للاثبات بأن محمدا مفتر وانه اخذ كتابه ودينه عن امثال هؤلاء...

وقد قال جولد تسيهر في اكثر من موضع من كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى رحمه الله: (وقد ساهم في تكوين عناصر هذه المذاهب - يعني الاسلامية - الدين اليهودي والدين المسيحي على سواء) ويقول: فتبشير النبي العربي ليس الا مزجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية... وهذه التعاليم التي اخذها عن تلك العناصر الاجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورة لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه

الذي تريده الارادة الآلهية[1]

وقد علق عليها الدكتور محمد يوسف موسى رحمه الله في اكثر من مناسبة تعليقات مستفيضة داحضة؛خصوصا وان هذا الكتاب شأن أمثاله يكتفي بايراد الشبهة ويعجز عن اسنادها بالدليل والبرهان متهربا بأن المجال لا يتسع للافاضة فيه، وكان مما قاله رحمه الله:(يذكر (يعني جولد تسيهر) ان الاسلام اقتبس من الديانتين الموسوية والعيسوية في القواعد الوضعية الواقعية، وليت شعري ماذا يريد بهذا الكلام المبهم.؟ فهل يريد ان في الاسلام صلاة كما فيهما صلاة؟ ولكن افلا يعلم ان الصلاة في الاسلام غيرها فيهما وكذلك الصيام والزكاة).

ونقول اضافة الى ذلك ان نظام الحج وهيآته في الاسلام غير نظام الحج في الديانتين اليهودية والنصرانية، ثم نظام البيوع والقصاص والديات، والمواريث والوصايا والطلاق، هل هي وغيرها كثير مما لا مجال لايراده هنا موجودة في هاتين الديانتين؟. وهل يستطيع محمد العربي القرشي الأمي ان يبتدع مثل هذه الانظمة التعبدية والاجتماعية والقانونية

---

(١) العقيدة والشريعة جولد تسيهر صفحة ٥- ١٧ وما بعدها.

والسياسية في اشكالها البديعة العجيبة ومضامينها المدهشة؟.

ثم من قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى انه صاحب الاسلام ومبدعه الا يكفي هؤلاء ما يكرره الله تعالى في القرآن مخاطبا اياه (ان انت الا نذير)[١]. و(إن عليك الا البلاغ)[٢]. و (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين[٣]). ليفهموا هذه الحقيقة ويعقلوها كما هي؟.

ان هذه الحقيقة قد اقر بها المفكرون المحايدون منهم امثال الدكتور موريس بوكاي الذي يقول في كتابه التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث: (ان القرآن نص الوحي المنزل على محمد من سيد الملائكة جبريل[٤] ويقول: (والذي يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص للمرة الأولى هو غزارة الموضوعات مثل الخلق والفلك وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالارض وجنس الحيوان والنبات وتكاثر الانسان تلك الامور التي نجد عنها في التوراة دون

---

(١) فاطر ٢٣

(٢) الشورى ٤٨

(٣) الاحقاف ٩

(٤) التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث للدكتور موريس بوكاي ١١

نص القرآن اخطاء علمية كبيرة تحملني على التساؤل: اذا كان كاتب القرآن بشرا، فكيف امكنه في القرن السابع الميلادي كتابة مثل ما ثبت انه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة[١])

ويقول: (ان هذه الملاحظة الاخيرة تجعل افتراض من يرون محمدا كاتبا للقرآن مرفوضا؛اذ كيف يتيسر لرجل حرم العلم في نشأته ان يصبح - على الاقل من وجهة نظر القيمة الادبية - الكاتب الاول في الادب العربي كله يخبر عن حقائق في النظام العلمي تتجاوز وسع اي كائن انساني في هذا الزمن ودون ان يكون فيه اي أخطاء.)

(ان الاعتبارات التي سنتوسع فيها في هذه الدراسة، ستوصلنا من وجهة النظر العلمية فقط الى الحكم بأن من المستحيل تصور رجل عاش في القرن السابع الميلادي، واستطاع ان يورد في القرآن افكارا في موضوعات متنوعة جدا - ليست افكار عصره - تلتقي مع ما سيكشفه منها بعد قرون متأخرة عنه. اما بالنسبة الي فليس للقرآن اي تفسير بشري[٢]).

---

(١) التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث للدكتور بوكاي ص ١١٤.

(٢) التوراة والانجيل والقرآن للدكتور موريس بوكاي ص ١١٨.

ان الذي نقل حول موضوع تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصرانية لا يعدو ان يكون ثمرة اثبات لقاء واحد أو إثنين او مطلق لقاء مع بعض متنصرة الجزيرة او الوافدين اليها من الرهبان وكلها وامثالها كثير لا تكفي لنقل هذا الدين الغني، وهم المخالفون له في كثير من الأصول والفروع والشكل والموضوع.

هذا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان اميا. والذين امنوا به من قومه المكيين والمدنيين وعرب الجزيرة واليهود والنصارى من أبنائها الذين عايشوا هؤلاء الذين ينسب اليهم تعلم الرسول منهم واخذه عنهم لورجح عندهم شيء من هذا لعرفوه، ولما آمنوا به هو، ولما اتبعوه، ولما قاتلوا واستشهدوا في سبيل ذلك، بل لكان الأصح والافضل ان يكون ايمانهم باولئك الذين اخذ عنهم، وشيء من هذا لم يكن وهو ما يقطع بسخف هذه الفرية وتهاترها...

على ان الرسول صلى الله عليه وسلم يكرر اكثر من مرة في احاديثه، كما ينقل مرارا في الكتاب عن رب العزة انه ومن سبقه من الانبياء والرسل سواء كانوا من بني اسرائيل او من غيرهم ممن حملوا كتابا او صحيفة، مبلغون لرسالات ربهم التي حملهم اياها الى الناس وانه ؛ ولذلك لا يملك

تحريف ذلك والا لحل به ما قاله تعالى: (انه لقول رسول كريم،وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون،ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين،ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين[1].

وليس المطلوب هنا التوسع في مناقشة هذا الموضوع وان كنا قد تعرضنا له برفق فلضرورة المقام، ولكن مما لا بد منه تقرير ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول رب العالمين الى الناس جميعا وانه مع اخوته الرسل السابقين عليه قد اشتركوا في الاصول التي نقلوها عن الله وحياً، الامر الذي يوضح ان ما في تعاليمهم من شبه انما مرده الى انها صادرة في اصولها عن معين واحد.

١٢- **وجود النصرانيـــة والنصـــارى في الجزيرة:** ومما لا مشاحة فيه ان النصرانية كانت قد تسربت الى قلب الجزيرة بعد ارتفاع عيسى عليه السلام بزمن، وتمركزت في اطراف منها، اهمها اليمن عامة ونجران خاصة، ويروى ان حادثة اصحاب الاخدود قد وقعت فيها وكانت سبب وجود النصرانية فيها وفيما حولها..

---

(١) الحاقة ٤٠- ٤٧

١٣- حادثة الاخدود:

وقد نقل انه قد نزل في نجران في غابر الازمان احد الصالحين من اهل دين عيسى عليه السلام المقيمين على الانجيل واسمه فيميون،وتعرف اليه احد ابناء نجران واسمه عبد الله الثامر، وحفظ عنه اسم الله الاعظم وصار له شأن، حتى انه كان لا يدعو الله لمريض الا عوفي، وكان لا يدعو لأحد الا بعد ان يدخله في دين الله، الأمر الذي جمع عليه أهل نجران. فرفع شأنه الى الملك فدعاه وقال له: افسدت علي الناس وخالفت ديني ودين آبائي. واراد ان يقتله، ولكنه عجز عن ذلك في كل محاولاته. فقال له عبد الله لن تتمكن من ذلك حتى تؤمن بالله امام جميع الناس فآمن وقتل الغلام، فآمن جميع الناس برب الغلام،فكان ذلك بداية انتشار النصرانية في هذه المنطقة. وحتى ينتقم الملك من الناس خدلهم اخدودا والقى فيه الحطب. واجج النار فيه فاشتعل. ثم جعل يطرح عليه من اصر على النصرانية. وفي هذه الحادثة انزل الله مواسيا نبيه قوله: (قتل أصحاب

الاخدود، النار ذات الوقود، اذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). الى آخر السورة[1].

١٤- بداية الموقف من النصرانية:

ويلوح لنا في هذه السورة التي جزم المفسرون كافة بأنها مكية انها من اوائل السور نزولا، لانها قصدت الى تعزيز معنويات المسلمين واستنهاض همتهم وتثبيتهم في ايمانهم. يقول الآلوسي في تفسيره: (ولا خلاف في مكيتها.. ووجه مناسبتها لما قبلها باشتمالها كالتي قبل على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره، وفي البحر (اي تفسير المحيط لابي حيان) انه سبحانه وتعالى لما ذكر انه اعلم بما يجمعه المشركون لرسول الله والمؤمنين من المكر والخداع والايذاء بانواع الاذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس واحماء الصخر ووضع اجساد الذين يريدون ان يفتنوه عليه، ذكر سبحانه ان هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من

---

(١) سورة البروج ٤- ٨

الأمم... فهذه السورة عظة لقريش، وتثبيت لمن يعزره من المؤمنين.[٢]

واذا كان الامر كذلك فيفرض ان تكون بدايات موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من النصرانية كانت في أوائل عهده في الدعوة في مكة. ولعل استشهاده تعالى في حادثة الاخدود في هذه السورة لتدعيم المسلمين وشد أزر النبي صلى الله عليه وسلم، فيه ما فيه من لفت النظر الى النصارى وما يمكن ان يكون له معهم من أمل كبير في الاعتراف بالحق والخضوع له.

١٥- هجرة الحبشة:

وان الذي يرجح هذا الافتراض ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى اصحابه في مطلع الدعوة يصيبهم من البلاء الشيء الكثير، وانهم سيكونون في كرب شديد إن استمروا في هذا الوضع فكر لهم بمخرج يخفف عنهم الشدة ويفرج عنهم، فقال لهم: لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد، وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما

---

(١) تفسير الألوسي جزء ٣٠ ص ٨٥

انتم فيه ، وانهم بالفعل قد خرجوا ووجدوا عنده ما ترقبه لهم الرسول منه .

١٦- تاريخ هذه الهجرة:

ولقد كان مخرجهم الى الحبشة في رجب من السنة الخامسة من حين نبىء رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] ، وكانت الحبشة داراً لنصارى يعبدون المسيح ولا يقولون هو عبد الله[٢]

١٧- عقيدة اهل الحبشة:

يملكهم ملك يطلق عليه لقب النجاشي . وقد كان نصرانياً على طريقة قومه ، شاب عقيدته ما شاب عقيدتهم من الوثنية واصابها ما اصابها من التحريف ؛ ولكنه مع ذلك احسن جوار المسلمين ، ورفض تسليمهم الى قومهم الذين ارسلوا اليه من يطلب ذلك منه ، وقال كلمته: (والله لا أسلمهم) ثم قال لمهاجرين المسلمين: (اذهبوا فانتم شيوم بارضي) أي (آمنون) .

١٨- الحكمة من اختيار الهجرة اليه:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم عقيدته

---

(١) الطبقات الكبرى الجزء الأول ص ١٨٨

(٢) ابن هشام الجزء الأول ص ٢٠٤

هذه، ولكنه اختاره لهم لما كان يعلمه عنه من حسن جواره، وأمن بلاده في ظل عدله، ولذلك قال له جعفر رضي الله عنه في حديثه معه: (لقد خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا ان لا نظلم عندك.)[1]

١٩- اسلام النجاشي:

وقد ظل النجاشي على حاله هذه من الاعتقاد الى ان كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة كتابا يدعوه فيه الى الاسلام، فلما قرىء عليه أسلم وقال لو قدرت آتيه لأتيته[2]

واختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة ليكون ملاذ المسلمين المعذبين في ارضهم، وأمله في ان يجد اصحابه عنده الجوار الحسن والامان والاطمئنان وحرية الاعتقاد يدل على سلامة فكره، وبساطته وعدم تعقده، خصوصا وانه يعلم ان النصارى قوم قد خالط دينهم وثنيات ووقع فيه انحرافات وتحريفات، لكنهم على كل حال يظلون خيرا من المشركين؛ وذلك لانهم قوم يؤمنون بالانبياء

---

(١) ابن هشام الجزء الأول ص ٢١٣

(٢) الطبقات الكبرى الجزء الأول ١٩٢

والرسل ويحملون كتابا ان لم يكن يصدق ما فيه، فانه لا يكذبه، فهو في موقفه هذا من النصرانية خير من موقف اليهود من الاسلام عندما جاء يستطلعهم خبر دين محمد....

٢٠- موقف النبي والمؤمنين من الروم:

والموقف نفسه يتكرر من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تجاه النصارى عندما انتصر آل ساسان في عهد ابرويز على هرقل ملك الروم ودخلوا الشام ظافرين سنة ٦١٤م ونزلت سورة تبشر المسلمين بنصر قريب يحرزه الروم على الفرس كأنما تريد ان تواسي نفوسهم المألومة، ولقد ورد ان المشركين كانوا يهتمون باخبار فارس ويتمنون انتصارها على الروم لأنهم واياهم اهل اوثان، وكان المسلمون على العكس من ذلك يهتمون بأخبار الروم ويتمنون انتصارهم على الفرس. فلما انتصر كسرى ابرويز على الروم وفتح القسطنطينية وبنى فيها بيت النار ساء النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فانزل الله تعالى أوائل سورة الروم: (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين.)

٢١- رهان أبي بكر:

ولما بلغت هذه الآية مسامع ابي بكر خرج يتحدث بها في قومه. فقال له ناس من قريش: زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ،قال: بلى وذلك قبل تحريم الرهان، فتراهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان واتفقوا ان البضع ست سنوات،وجعلوا الرهان ثلاث قلائص. وجاء ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره عن الذي جرى بينه وبين القرشيين، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (هلاَّ احتطت فان البضع ما بين الثلاث والتسع. ولكن ارجـــع فزدهم في الرهان واستزدهم في الأجل) ففعـل ابو بكر وجعلوا القلائص سبعا والأجل الى تسع سنين. ولم تمض هذه المدة حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيلهم بالمدائن وبنوارومية ،وكسب ابو بكر الرهان، ولكن لما قبضه امره صلى الله عليه وسلم بالتصدق به[١].

★ ★ ★

---

(١) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢- ٣

٢٢- **انفتاح الاسلام على الافضل**: لقد كانت غلبة فارس على الروم اوائل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة واتباعه يومئذ قليل[١]، ولا شك ان مواقف الرسول ﷺ هذه من النجاشي ومن الروم تعبر دونما ريب عما يتحلى به الاسلام من الانصاف والعدل، وما يلتزمه من الاستقامة ويتصف به من الانفتاح على الافضل ايا كان ولمن كان

٢٣- **موقف المخلصين من اهل الكتاب**: وكذلك كان موقف اليهود والنصارى المخلصين الصادقين مع الله ومع انفسهم، فانهم ما ان بلغهم مبعث نبي حتى بادروا الى لقائه ودرس اوصافه واحواله واعماله، ثم آمنوا به بعد ان تحققوا من انطباقها على الاوصاف الثابتة له في كتبهم، وقد روت كتب السير والحديث انه قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلا وهو في مكة او قريب من ذلك، من النصارى حين ظهر خبره في الحبشة، فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح الجزء الأول ٨٨

مساءلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم وتـلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق،ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه. فلما قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا: « خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل،فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال؟. ما نعلم ركبا احمق منكم! فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا اعمالنا ولكم اعمالكم، لا نالو لانفسنا خيرا[1]. وفيهم نزلت الآيات الكريمة التالية: (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون، واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين[2]

(١) الجواب الصحيح الجزء الأول ص ٨٧

(٢) القصص ٥٢- ٥٥

٢٤- تعميم الدعوة:

ولئن كانت دعوة جميع الرسل السابقين من بني اسرائيل وغيرهم مقتصرة على اقوامهم فان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة الى الناس كافة، وذلك بأمر الله الثابت في كتابه الكريم بقوله: (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[١] (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون)[٢]. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبل عام الحديبية يوجه دعوته الى قومه في مكة ومن حوله والى اهل المدينة ومن حولها، ويتصدى لكل من يلقاه في المواسم خارج مكة وخارج المدينة وغيرهما ليبلغه الدعوة، وما ان هادن قريشا عام الحديبية حتى مد بصره الى تخوم الجزيرة وما بعدها، واتجه في دعوته الى العالمين. فأرسل كتبه مع رسله الى الملوك والامراء جميعا، والى النصارى بالذات في الشام ومصر والحبشة.

---

(١) الأنبياء ١٠٧

(٢) سبأ ٢٨

٣٥- موقف هرقل:

وقد نقلت بعض كتب التفسير انه لما تسلم هرقل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم جمع اساقفة الروم فألبوا عليه ذلك، وتخلف عن الاجتماع كبيرهم، فأرسل اليه ثلاثا فأبى الحضور فسعى اليه، فلما قابله قال له: (اليس قد عرفت انه رسول الله؟ قال بلى. قال اليس قد رأيت ما ركبوا مني، فأنت اطوع فيهم مني فتعال فادعهم. قال أوتأذن لي في ذلك قال نعم. قال فجاء بسواده الى كنيستهم العظمى فلما رأوه خروا له سجدا الملك وغيره، فقام في المذبح فقال: يا أبناء الموتى، هذا النبي الذي بشر به عيسى، وانا أشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله، فنخروا ووثبوا اليه فعضوه بأفواههم حتى قتلوه[١].

كما ورد ان هرقل لما تسلم كتاب رسول الله من الرسول جعله في قصبة من ذهب وامسكها عنده تعظيما له بعد ان قال ما قال مما روته كتب الحديث، ومما يؤكده معرفته للحق وثبوته له حيث قال: (يا معشر الروم هل لكم في الفلاح

---

(١) الجواب الصحيح الجزء الأول ٩٦

والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي ، فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت دونهم ، فلما رأى هرقل نفرتهم ويئس من الايمان منهم ردهم عليه وقال: (اني قلت مقالتي آنفا اختبر بها شدتكم على دينكم فقد أيت)[1] فنكص على عقبيه خوفا على ملكه.

وقد جرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبليغ الناس اجمعين ومن ضمنهم النصارى رسلا عديدين ، فأرسل كما رأينا الى قيصر والمقوقس والنجاشي والى كسرى الذي مزق كتابه فاستحق دعاءه بأن يمزق الله ملكه فتمزق،والى باذان أمير كسرى على اليمن فأسلم مع ابنائه ، ثم الى الحارث ابي شمر الغساني والى جيفر والى المنذر بن ساوى العبدي في البحرين فأسلم،ثم الى عديد من الأمراء ووجوه العرب فأسلم من أسلم وعاند من عاند وكفر[2].

وثبت ان ملك مصر رد على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم ردا جميلا لطيفا وارفقه بهدايا ارسلها اليه صلى الله عليه وسلم رغم انه اعترف بانه رسول الله المنتظر والذي بشرت به الانبياء من قبل[3].

---

(١) الجواب الصحيح الجزء الأول ٩٥

(٢) الطبقات الكبرى الجزء الثاني ص ٣٢- ٥٦

(٣) الجواب الصحيح الجزء الأول ص ٩٧.

٢٦- موقف ملوك النصارى من كتب الرسل لأول وهلة:

وليس مصادفة ان يكون موقف ملوك النصارى في البداية ما كان عند تسلم كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم، فكتبهم تشهد بقرب بعثة نبي ذكرت اوصافه وهم لاشك عرفوا تحققها فيه صلى الله عليه وسلم، فكتبهم ومفاجأة الرسول لهم بكتابه ودعوته لهم للاسلام اربكتهم وجعلتهم بسبب حرصهم على الملك وعلى زينة الحياة يترددون: أيقبلون على الاسلام ويلبون نداء الرسول ويتخلون بالتالي عن الملك والسلطان وربما يموتون من جراء هجمة عامة الناس وجهلائهم عليهم، أم يؤثرون البقاء فيما هم فيه من الدعة والملك والنعيم؟ ولقد كان اختيار بعضهم هذا لضعفهم، بينما كان اختيار آخرين الاسلام مهما كلفهم الأمر.

فقد آمن النجاشي وعزم على السعي اليه صلى الله عليه وسلم لولا تحققه من تعذر ذلك عليه، واعترف المقوقس بانه يجد معه آلة النبوة وانه ليس بالكاهن ولا الساحر وأرسل اليه الهدية المعروفة[١]، وتردد هرقل فأصابه الخزي في الحياة

(١) راجع كتب السير والحديث في هذا الموضوع.

الدنيا ولعذاب الآخرة أخرى...

٢٧- الفرق بين موقف النصارى من النبي وموقف اليهود:

هذا ولا بد من الاشارة هنا الى ما بين موقفي اليهود والنصارى من النبي صلى الله عليه وسلم من فرق في الفترة التي كان فيها صلى الله عليه وسلم مبلغا لدعوته في مكة. فقد ثبت كما أشرنا ان وجود النصارى في مكة والمدينة كان بعدد لا بأس به، كما كان وجود اليهود في مكة وبخاصة في المدينة، ولكن ثبت ان غالبية وجود النصارى كان في ظل الرق والعبودية، فلم تكن لهم في الاغلب كما كان لليهود حرية الحركة والعمل وحرية الرأي والكلام.

ومع ذلك فقد نقلت كتب السيرة ايمان البعض، منهم: جبر ويسار وكانا عبدين لآل الحضرمي، ويعيش مولى لحويطب بن عبد العزى، وبلعام وكان روميا اعجمي اللسان، وصهيب وكان في خدمة عبد الله بن جدعان وغيرهم وانهم جميعا قد اسلموا[1].

كما نقلت تآمر بعض متنصرة العرب على الاسلام

---

(١) ابن هشام الجزء الثاني صفحة ٤٥

وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، مثل ابي عامر الراهب الذي تمكن من اقناع بعض شباب الأوس من اعتناق دينه وخروجهم معه مغاضبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيدين لقريش، ثم لما يئس من نجاح اهل مكة في القضاء على الرسول فر الى بلاد الشام ليطلب مددا من الروم(١).

ولكن بصورة عامة ظل النصارى مستضعفين وعاجزين عن المبادرة الى موقف جماعي داخل الجزيرة من الرسول صلى الله عليه وسلم تخذيلا او تأييدا. غير ان هذا لم يمنع من حصول الاحتكاك بين المسلمين والنصارى على اختلاف اوصافهم وظروفهم من جهة، وقيام الحوار الديني بينهم حول العقيدة وفي كثير من الاراء الدينية من جهة ثانية...

وهذا ما يسر للكتاب الكريم اخذ المواقف بالنسبة لعقائد النصرانية وسرد الكثير من الاحكام فيها ومن المعتنقين لها. ويسر للمؤمنين منهم هذه المواقف وادراك مداها وغورها.

وعلى كل حال فان القرآن الكريم في الوقت الذي

(١) طبقات ابن سعد الجزء الثاني ١١٩- ١٢٠.

اصدر حكمه فيه على اليهود بأنهم اشد الناس مع المشركين عداوة للذين آمنوا، فأبرز فيهم ظاهرة العداوة وما تحمل من معاني الحقد والكيد والتآمر والاذى وغير ذلك، حكم على النصارى بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا فنسب اليهم طبيعة الود والمحاسنة والملاينة مع ان اقربيتهم في المودة لا تنفي اتصافهم بالعداوة وما تستتبع احيانا، وذلك لان التوجيه يهدف الى طبائع هؤلاء واولئك في الغالب التي تميزت به من دون الناس.

٢٨- **وفد نجران:** ولقد كان من ابرز صور اللقاء والمواجهة بين الاسلام والنصرانية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه بالذات ذلك الذي حصل بينه وبين وفد نجران الذي جاءه ليستمع اليه ويحاوره ويقرر موقفه منه.

وان كانت السير لتنقل احاديث مستفيضة عما جرى بين الرسول وزعماء هذا الوفد، ويقول ابن اسحاق: (قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة يؤول اليهم امرهم: العاقب امير القوم وذو رأيهم واسمه عبد المسيح. والسيد

شماسهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم. وأبو حارثة ابن علقمة اسقفهم وحبرهم وامامهم وعالمهم[1].

ودخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه (دعوهم) ثم اتوا النبي فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان ذلك من اجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أنكرتم ما أقول لكم فهلم أُباهلكم[2] فقالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا ثم نأتيك بما تريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه. فانصرفوا ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم (يعني عيسى) ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي

---

(١) ابن هشام الجزء الثاني صفحة ٤٥

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الثاني ١١٩- ١٢٠

كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وانه للاستئصال منكم ان فعلتم،فان كنتم قد ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ياأبا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك[1]، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفي حلة وعلى عارية من الدروع والرماح والبعير والجياد ،وعلى أن لنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم. وانهم رجعوا الى بلادهم. فلم يلبث السيد والعاقب ان عادا الى النبي واسلما[2].

٢٩- **العقيدة النصرانية**:من معتقدات النصارى الاساسية ان المسيح هو الله وانه هو ابن الله، وانه ثالث ثلاثة. اما انه هو الله في زعمهم، فلأنه كان يحيي الموتى ويبرىء الاكمه والاسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا ،وكان

---

(١) ابن هشام الجزء الثاني صفحة ٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الثاني صفحة ١١٩- ١٢٠.

ذلك بأمر لله. واما انه هو ابن الله في زعمهم، فلأنه لا أب له، وأما انه ثالث ثلاثة في زعمهم فلأن الله تعالى يقول: فعلنا وامرنا وقضينا، ولو كان واحدا لقال فعلت وامرت وقضيت ولذلك كان الله هو وعيسى ومريم.

ولما جرى الحوار مع رسول الله حول هذا دعا الرسول الحبرين الى الاسلام، فقالا: لقد اسلمنا. قال: انكما لم تسلما. قالا بلى قد اسلمنا قبلك. قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولـــدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير. قالا فمن ابوه يا محمد؟. فصمت عنهما رسول الله ولم يجبهما حتى نزل قوله تعالى: من صدر سورة آل عمران الى نهاية بضع وثمانين آية منها

ولقد كان في هذه الأيات رد حاسم قضى فيه على الشبه المصطنعة من اصحاب هذه العقيدة وبين العقيدة السليمة في الله كما ينبغي ان تكون. وخلاصة ما فيها:

١- ان الله واحد لا اله الا هو الحي القيوم، منزه عما يقوله النصارى وعما ينسبونه لعيسى من الموت والصلب والزوال عن سلطانه.

٢- هذا الاله الواحد العظيم هو الذي انزل على محمد

الكتاب كما انزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى. وفي القرآن الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره.

٣-ان الله العظيم الفرد الصمد عظيم السلطان متمكن من خلقه شديد العذاب والانتقام.

٤- والله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وهو الذي يصور الخلق في الارحام. وهو يعلم ما يكيده الكائدون في امر عيسى عليه السلام.

٥- الله الجليل سبحانه وتعالى قد انزل عليك الكتاب وفيه آيات محكمات لا تحتمل التأويلات المتعددة، ولا تتعارض عليها الاحتمالات، وهي حجة له تعالى على عباده وعصمة لهم لانها ترد الباطل. وآيات متشابهات تتمثل بالناظر فيها الى استجلاء وجوه مختلفة وطرق متباينة، وقد ابتلى الله فيها العباد كما ابتلاهم بالحلال والحرام، فأهل الزيغ يعطفون المتشابه على اهوائهم ويجادلون به عن آرائهم، فيضلون الحديث، أما الراسخون في العلم فيردونه الى الحكم أخذاً من قوله تعالى: (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وعلماً بان الكل من عند

الله فلا يخالف بعضه بعضا..

٦- وقد شهد الله انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط، فحسم بشهادته العليا التي لا تفتقر الى تزكية لوثوقها من ذاتها، ثم بشهادة الملائكة خير المخلوقات واسماها، وشهادة حكماء الناس واوفرهم نصيبا من العلم والادراك.

٧- ان الدين عند الله الاسلام. واختلاف الذين اوتوا الكتاب في هذا بغي وعدوان على الحق.

٨- أدع الذين يحاجونك الى الاسلام فان قبلوا فبها وقد اهتدوا، والا فدعهم وشأنهم فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد.

٩- والاسلام هو ما انت عليه من التوحيد والتصديق برسالات الرسل. اما اهل الكتاب فهم حائدون عن الطريق المستقيم، ومنهم من قتل النبيين، وافتروا على الله ما لم ينزل، وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات.

١٠ يخبّرُ النبي صلى الله عليه وسلم بكثير من اخبار الاولين المغيبة عليه، بما اكتنف خلق مريم وحياتها، وبدعاء زكريا بأن يكون له الولد واستجابة الله له بهبته يحيى عليه السلام، وببيان مقام مريم عند الله

وكيف بشرتها الملائكة بعيسى وما سيكون منه من عظائم الأمور وخوارقها.

١١ وعيسى اذن ليس بدعا في الناس انه من بني آدم خلقه الله كما خلق آدم، ومثله عند الله كمثل آدم الذي خلقه من تراب وقال له كن فكان...

١٢ وتأكيدا لصحة كل ما سبق تحدى القرآن الكريم النصارى وقال للرسول صلى الله عليه وسلم اطلب منهم المباهلة، اي تعالوا نطلب من الله ان ينزل لعنته على الكافرين منا والكاذبين، وعند ذاك يتبين الصادق من المفتري والمستقيم من المنحرف.

١٣ - **امتناع وفد نجران من المباهلة:** وقد ذكرنا قبل ان وفد نجران النصارى استنكفوا عن هذه المباهلة خوفا من خطرها عليهم الأمر الذي استلزم بوضوح كذب وبطلان ما هم عليه.

ولا ريب ان هذه الايات كانت حاسمة بما كشفته من موقف محمد صلى الله عليه وسلم وموقف الاسلام من النصرانية، وبما استندت اليه من حجج داحضة وبراهين قاطعة اكدت انحراف القوم وضلال ما هم عليه وزيغان قلوبهم عن الصراط المستقيم، وان

مصيرهم الى حساب شديد وبخاصة بعد هذا البيان الذي ترتاح اليه العقول المنصفة وتطمئن له القلوب المخلصة التي لا يتحكم بها الهوى.

١٤ **الهوى وفعله في الاصرار على الباطل:** ورغم هذا فقد لعب الهوى بعقول اولئك وغيرهم، وأصر كثير من نصارى الجزيرة ونصارى البلدان المتاخمة على البقاء على ما هم عليه فيما شرعه لهم اكابرهم من القوانين والناموس مما لم يوجد في كتب الانبياء الأولين اليسير منه، ذلك انه يمثل مجموعة مما نقل عن الانبياء والحواريين، وعن اكابرهم مما ابتدعوه لهم من دين المشركين والوثنيين، وما كانوا عليه من عبادة الصور والاستشفاع باصحابها والسجود لها والقول بالتثليث وعبادة الصليب واستحلال لحم الخنزير وتعبدهم بالرهبانية وامتناعهم عن الختان وتركهم طهارة الحدث والخبث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء ولا يوجبون في صلاتهم اجتناب شيء من الخبائث اياً كانت بولا او عذرة او غير ذلك[1]

(١) الجواب الصحيح الجزء الأول ١١٤- ١٢٤

١٥- بدء الصراع مع النصرانية: ولقد قلنا آنفا ان كتب السيرة لم تشر مطلقا الى وقوع أي تصادم بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصارى الجزيرة - ولكن مع ذلك فان هذا لم يمنع من ان يمارسوا معه اساليب الدس عليه وعلى الاسلام ويتحركوا التحرك الصامت الخبيء كما رأينا من ابي عامر الراهب، وكما ثبت انه وقع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث نقل بعض المؤرخين بانه لا يستبعد أن يكون اهل الكتاب عموما قد ساعدوا في قيام حركة الردة في الجزيرة، وحركة المتنبئين ومانعي الزكاة للقضاء على الاسلام من الداخل، هذا الاسلام الذي يعتبرونه خطرا عليهم، كما لايستبعد ان يكون الاحباش والروم في جملة من كان يحرض على الدس للاسلام والتآمر عليه خصوصا وان بعض من اعلن الردة مثل (النعمان الغرور) وهو نصراني قد تلقى هو ومن كان معه من النصارى المرتدين عونا من الخارج، ولعل هذا ما حمل الخليفة على اتباع قاعدة اجلاء الدساسين من اهل الكتاب مهما كان نوعهم من جزيرة

العرب لحمايــة الاسلام من خطر الفتنــة وخطر الردة[1].

١٦- **لماذا امر الرسول باجلاء اليهود والنصارى:** ولعل هذا الخبر يساعدنا الى حد بعيد على فهم الحكمة فيما نقله الامام احمد عن ابي عبيدة بن الجراح قال: كان آخر مـا تكـلم به الرسول صلى الله عليه وسلم: (أخرجوا يهود اهل الحجاز ونصارى اهل نجران من جزيرة العرب[2].

اذ يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم قد لمس حيائيا ؟ ما كان يكيده له هؤلاء جميعا سراً وعلناً، مع ما يحملونه من الشبه الضالة والمضلة فادرك بنظرته الصادقة الحكيمة مدى خطرهم على الحق والخير وعقيدة الاسلام وكيان المسلمين والجزيرة العربية قلعة الاسلام، فاصدر حكمه وطلب من خلفائه ان يجدوا في تنفيذ ذلك من بعده..

١٧- **تحرك الروم:** ومما يؤكد صحة هذا الاتجاه ما وقع من الروم قبيل انتقاله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق

---

(١) المفصل في تاريخ العرب الجزء السادس ٦٢٠.

(٢) الجواب الصحيح الجزء الأول ١٠٢

الأعلى»، هؤلاء الذين فرح المؤمنون بانتصارهم على الفرس واعتــبروه نصراً للاديان الكتابيـة عـلى الوثنية، فانهم ما ان وصلهم خبر انتشار دعوة الاسلام في الجزيرة وتمكنها من ارجائها؛حتى فكروا بما قد يصيب ملكهم فيها لو تم لهذا الدين الجديد استمرار الغلب على ما حوله والانتشار، ولذلك فقد بادروا الى الائتمار به والكيد له والبطش به ان امكن، فارسلوا له جيشا لجبا، عدته في بعض الروايات مئة الف مقاتل، بل ومئتا الف مقاتل في رواية اخرى، فكانت غزوة تبوك التي خرج فيها رسول الله صلى عليه وسلم بنفسه، ولم يقع فيها قتال، لانسحاب الروم بينما استمر الرسول صلى الله عليه وسلم مقيما عدة ايام مع اصحابه، تمكن فيها من عقد معاهدات صلح مع بعض نصارى تلك المنطقة، مثل الاكيدر صاحب دومة الجندل الذي صالحه الرسول على الجزية، ومثل صاحب ايلة كذلك[1]، ولم يكد يمضي على وفاة الرسول كبير وقت حتى اتسع هذا الصراع

(١) المفصل في تاريخ العرب الجزء السادس صفحة ٦٠٠.

وانتقل الى عقر دار الروم وكانت معارك انتهت بانتصارات حاسمة للاسلام والمسلمين على النصرانية واتباعها....

١٨ - الاسلام والنصرانية: ولقد وضح من قبل انه لم يكن من محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه المؤمنين بادىء ذي بدء تجاه النصارى الا أنْ تقدموا منهم بتعريفهم على الدين الجديد الذي هو الاسلام ودعوتهم لقبوله والدخول فيه - خصوصا وانه دين يؤيد الكثير من اصول دينهم من الايمان بالكتب والنبيين والملائكة واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار وغيرها. وليس في هذا اي تجن او تحد بل فيه كل الاحسان والمحبة وبخاصة اذا تأكد بان المسلمين لم يكرهوا هؤلاء على الدخول في الاسلام.

بيد ان هؤلاء النصارى اعتبروا هذا من الرسول وصحبه تحديا لسلطانهم ونفوذهم على الأرض، فكبر عليهم ذلك واستصعبوا ان يقبلوا الخضوع لعربي أمي والانقياد له ليكون لهم قائدا ومعلما وهاديا، فنفروا منه وأعرضوا عنه قبل ان يكلفوا انفسهم مسؤولية فهم ما عنده والتحقق مما اذا كان نبيا او غير ذلك وهم اهل الكتاب الذين يخبرهم

كتابهم بقرب مبعث نبي مخلص للناس ومنقذ لهم من الضلال المبين.

والذي يؤسف ان هذا النفور جعلهم ينطوون على كره وحقد اعميين وشديدين اندفعوا معها ليكيلوا له ولأتباعه التهم، ويفتروا عليه بالكذب، ويحرضوا أناسهم دونما اي مبرر على النيل منه ومن دينه وأمته بقسوة وغلظة، وهو الذي ما تكلم عن عيسى وأمه الا خير الكلام وأحلاه وما تحدث عن الانجيل والتوراة الا اصدق الحديث[1].

ولم يقف الأمر بهؤلاء عند هذا الحد، بل استطال حتى اقاموا بين الاسلام والنصارى حاجزا من العداوة والحقد والخصومة الشديدة قائما على الجهالة والهوى والعمى، حتى انتهى الى خوض صراع مرير واليم فكري وعقائدي من جهة ودموي وعسكري من جهة أخرى كوي بناره اناس برآء، واستطال مع تقلب الزمن وتعمقه تكون الغلبة فيه طورا للمسلمين واخرى للنصارى، حتى كان هذا العصر الحديث الذي يشهد احدث ما انتهى اليه العلم من اكتشافات على كل صعيد فتحت ابصار الناس وبصائرهم

---

(١) راجع أمثلة من أقوال المستشرقين في موسوعة لاروس الفرنسية وفي كتاب حياة محمد (لحسين هيكل ص ٢٩- ٣١).

على دقيق صنع الله وروائع ابداعه وخلقه في الانسان والحيوان والنبات والهواء والذر في الارض وفي السماء وما بينهما.

ومع ذلك فقد استمر اصحاب الحقد على حقدهم تنازعهم اهواؤهم وتجرفهم انانياتهم في اتجاه مداومة الصراع ومتابعة الحرب على الاسلام والمسلمين، غير عابئين لما رأوا في الارض وفي السماء والآفاق والانسان من دلائل تؤكد صدق محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق دعوته الى الناس اجمعين؛ وهو الذي حمل اليهم جميعا قوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق من ربهم أولم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد؟ الا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط[1]

وان من آثار هذا الصراع المرير القائم على الحقد صنوفا متعددة من النشاط التربوي التبشيري، والنشاط الصحي التبشيري، والنشاط التبشيري في الخدمات الرعائية العامة، في حقول الصحة والزراعة والعمل الاجتماعي وغير ذلك التي يشهد اخطر آثارها اليوم لبنان وافريقيا السوداء واندونيسيا والهند وغيرها.

---

(١) فصلت: ٥٣

ولو يكلف هؤلاء انفسهم بعض عناء المراجعة الفكرية لما يحاربون من فكر وعقيدة وسلوك لرأو كيف انهم يتجنون اولا وقبل كل شيء على انفسهم، ثم بالتالي على الناس، ويحملون الى حد بعيد وزر تردي الاوضاع العامة في المجتمع الانساني وتخلف ركبه في طريق التقدم والتطور، كما يحملون وزر ما يعانيه هذا المجتمع الانساني الكبير من آلام ويكابده من مشقة وحرمان واحزان.

الفهرس

الموضوع | الصفحة